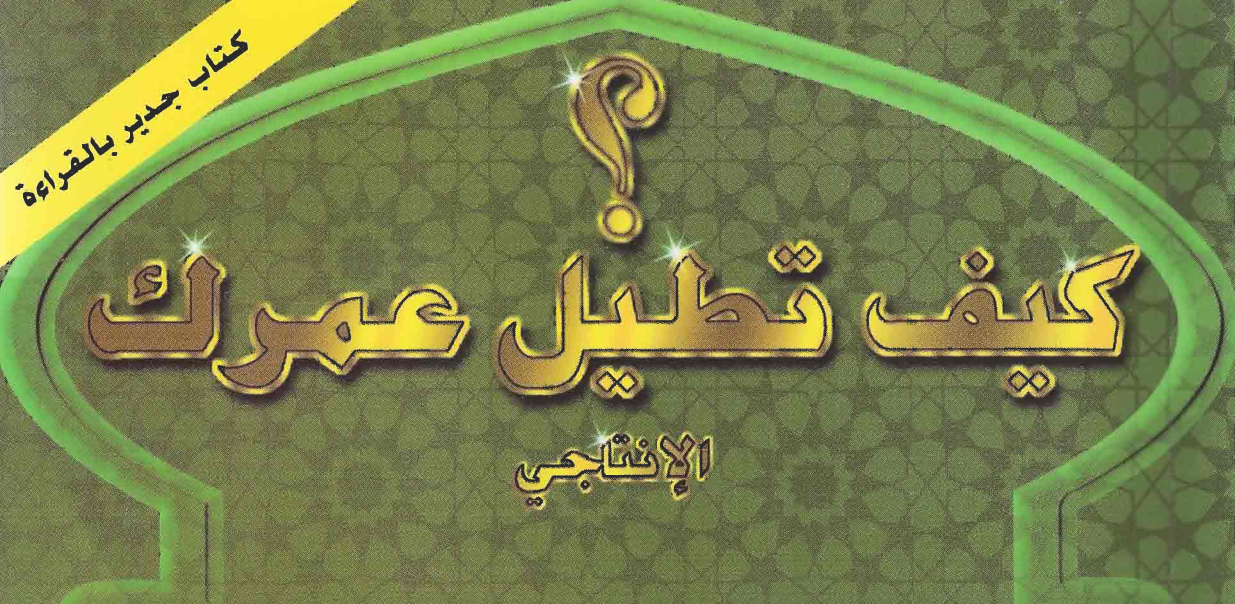


كيف تطيل عمرك

الإنتاجي

تأليف
محمد بن إبراهيم النعيم



تقديم

فضيلة الدكتور
صالح بن غانم السدلان
الأستاذ بكلية الشريعة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

فضيلة الشيخ
عبد الرحيم بن إبراهيم الهاشم
المحاضر بكلية الشريعة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالإحساء

طبع على نفقة فاعل خير
خصم خاص للتوزيع الخيري
ت: ٨٩٤١١٣٦

كيف تطيل عمرك الإنتاجي ؟

« من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه »

حديث شريف

تــأليف

محمد بن إبراهيم النعيم

تقــديم

فضيلة الدكتور صالح بن غانم السدلان
الأستاذ بكلية الشريعة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الشيخ عبد الرحيم بن إبراهيم الهاشم
المحاضر بكلية الشريعة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالأحساء

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النعيم ، محمد بن إبراهيم

كيف تطيل عمرك الإنتاجي. _ ط٣ الدمام .

١٦٨ ص ؛ ١٧*٢٤ سم .

ردمك : ٢_١٧_٦٢٦_٩٩٦٠

١- الوعظ والإرشاد ٢- الثواب والعقاب في الإسلام أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٢/١٧٩٥

رقم الإيداع : ٢٢/١٧٩٥

ردمك : ٢_١٧_٦٢٦_٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

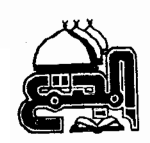
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مزيدة ومنقحـــة

دار الذخائر للنشر والتوزيع

الدمام - المملكة العربية السعودية

تطلب جميع منشوراتنا من



تم الصف والاخراج بمكتبة المجتمع

فـرع الخـبـر تلفـون ٨٩٤١١٣٦

توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب ١٤٠٥ ـ الرياض ١١٤٣١

هاتف: ٠١/٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس: ٠١/٤٠٢٣٠٧٦

كيف تطيل عمرك الإنتاجي ؟



دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان

* * *

إذا بلغ الفتى ستين عاما
فنصف العمر تمضيه الليالي
ونصف النصف يمضي ليس يدري
وباقي العمر هم واشتغال

تقديـــم
د. صالح السدلان

الحمـد لله والصلاة والسلام على نبـينا محـمد ﷺ وعلى آله وصحـبه أجمـعين . أما بعـد : فقد قـام مؤلف الكتاب المـوسوم بعنوان « **كـيف تطيل عمرك** » بعرضه علي من أوله إلى آخره . ووجدت هذا الكتاب اشتمل على :

(١) ثلاثة فصول وخلاصة وكل فصل ضم جملة من المباحث .

(٢) ألفيت هذا الكتاب نافعاً ومفيداً في موضوعه .

(٣) لم يسبق المؤلف إلى لفت نظر القارىء إلى ما اسـتنتجه من النصوص التي أوردها وما دلت عليـه من الثواب العظيم . فقـد أجرى موازنة بين عـمر الإنسان العادي وبين عمله الإنتاجي إذا هو عمل بهذه الأحاديث واحتسب أجرها وعوَّد نفسه عليها ، فإنه يطيل عمره بطريقتين :

(أ) الطريقة الأولى : إطالة حقيقية .

(ب) الطريقـة الثانية : إطالة مـعتـمدة على الناحـية الإنتاجـية بالأعـمال الصالحات والحسنات الكثيرات .

فتلك لفتـة دقيقة وذكـية ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يـتفطن لها وأن يقدرها قدرها .

(٤) أن موضوع هذا الكتاب يحتاج إليه الجـميع : العلماء والمتعلمون والشباب والكهول والشيوخ والذكور والإناث .

(٥) أن العمل بفضـائل هذه الأعمال التي ذكرها المؤلف سهلة ومُيـسرة ولكنها تحتاج إلى أمرين وهما اللذان عجـز عنهما كثير من الناس : **النية وتصور هذا الثواب** ؛ وذلك بأن يتصور أحدنا كـيف يحصل على هذا الثواب في

وقت وجيز قد يعادل العمر أضعافاً مضاعفة .

فأسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفة وقارئه وكل من أسهم في نشره ، وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

د. صـــالح بن غـــانم السـدلان

الرياض ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كليـــة الشريعـــة

الجمعة ١/١/ ١٤١٥هـ

تقديـــــم
للشيخ عبد الرحيم الهاشم

الحمد لله حق حمده وأفضل صلاته وأزكى سلامه على أشرف خلقه سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن أحبهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن الله تعالى تفضل على هذه الأمة بما لم يتـفضل به على من سبقها من الأمم ، فوضع عنها الآصار والأغـلال التي كانت على تلك الأمم في عبادتهم لربهم ومعاملتـهم مع خلقه . وتعويضاً لهم عما فـاتهم من طول الأعمار وقوة الأبدان التي كانت تتـمتع بهمـا تلك الأمم ، ويعدان عنصرين أسـاسين لكثرة الأجور . وبهذا الفضل أصبحت هذه الأمة نصف أهل الجنة .

وإن الأخ الفاضل الشيخ / محمد بن إبراهيم النعيم جمع في هذا الكتاب ــ كيف تطيل عمرك ــ ما استطاع جمعه مما تفضل الله تعالى به على هذه الأمة من الأعمال القليلة ذات الأجـور العظيمة . وبناء على طلبه ، قمت بمراجـعته المراجعة الشـرعية فألفيتـه كتاباً حافلاً ببعض مـا تفضل الله تعالى به على هذه الأمة من الأجور العظيمة على أعمال قليلة ، وحرص فيه ــ وفقه الله تعالى ــ على دعمه بالآيات والآثار مع تخـريجها ، وبيان فقهـها عند سلف الأمة ، ثم قام بعمليات حسابية تقـرب فهم تلك النصوص لأهل هذا العصر ، وقد أفدتِ منه أكثر مما استفاد مني ، مع اعتقادي ونصحي لكل من اطلع على هذا الكتاب وأمثاله المهتـمة بهذا الموضوع أن يشكر الله تعالى على هذا الفـضل ويعتقد بأن الله تعالى الغنـي الكريم ذو الفضل العظيم لا يعـجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقادر على أن يتفضل بأكثر مما جاء في هذا الكتـاب لقوله سبحـانه ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ [البقرة:٢٦١] وأن يحرص على عبادة

ربه ، ومعاملة الخلق بما أمر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأن يخلص العمل لله تعالى ليفوز بلقاء ربه قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾ [الكهف: ١١٠] وليحذر من العجب بالعمل، والرياء فيه ، واتهام الآخرين بالتقصير ، والتعبد بالبدعة فإن كل هذه الأمور من محبطات الأعمال وأن يعمل ولو مرة بكل سُنَّةٍ سمع بها ليكون من أهلها ويحرص على ما كان أجرها مضاعفاً كما فعل النبي ﷺ في قوله للمرأة: « لقد قلت بعدك أربع كلمات عدل ما قلتيه منذ أصبحت : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » . فإن العبد إذا حافظ على مثل هذا استفاد من وقته لدنياه وآخرته .

نسأل الله تعالى لنا ولجميع المسلمين الهداية والتوفيق والقبول آمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله .

كتبه

السيد عبد الرحيم بن إبراهيم الهاشم

محاضر بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء

١٥/١/١٤١٥هـ

المقدمـــة

الحمد لله المبدىء المعيد ، يعطي من شكره المزيد ، أحمده سبحانه وتعالى على نعمه المتوالية ، إنه حميد مجيد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، الفعَّال لما يريد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعبيد ، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين وعلى صـحابته أهل التأييد ، وعلى من سار على نهـجهم واقـتفى أثرهم إلى يوم الوعـيد ، وسلم تسليمـاً كثـيراً إلى التأبيد. أما بعد:

فقد كـانت بداية هذا الموضوع خاطرة واحدة دونتهـا منذ عدة سنين ، عند قراءتي في كتاب صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، للعالم الفاضل: محمـد ناصر الدين الألباني . وبعد مرور أشـهر عديدة على ذلك ، وفي أثناء تقليبي لصفحات الكتاب مرة أخرى ، رأيت التعليق الذي دونته ، فكانت بداية فكرة تجميع الأحاديث النبـوية الصحيحة في موضوع الأعمـال المضاعفة ، التي تهدف إلى زيادة العمر الإنتاجي للمسلم .

وبعد طرح الموضـوع عدة مرات ، على مـجموعـات عديدة من الناس ، وفي أماكن متفرقة ، كانت عناصر الموضوع تتداعى وتتـضافر شيئاً فشيئاً :حتى كان في ثوبه هذا الذي هو عليه الآن ولله الحمد .

يُعـد هذا الموضوع أحـد الموضـوعات المهـمـة ، التي أرى أن تطرح على الشباب ، لاسيما المبتدئين منهم في الالتزام . فقد لاقى هذا الموضوع قبولاً ممن سمـعه مني مما دعاني أن أدونه في كتـاب ؛ ليستـفيد منه أكبـر عدد ممكن من الناس ، ولعلِّي أسـجل لنفسي به صـدقة جـارية عند الله تعـالى تنفعني بعـد مماتي. هذا وسيقوم بعض الأخوة الأفاضل بتـرجمة مادة هذا الكتاب إلى اللغة

الإنجليزية وإلى بعض اللغات الهندية المحلية .

أسأل الله تعالى أن يتمم لهم ذلك ويثيبهم عليه .

يتناول الكتاب باختصار معظم الأعمال الصالحة التي ثوابها يضيف لك ـ فيما يرى الناظر ـ عمراً إضافياً ؛ ليكون عمرك الإنتاجي من الحسنات أكبر من عمرك الزمني . والكتاب بمثابة مجهر يكشف لأنظارنا أهمية جديدة للعديد من الأحاديث التي نقرأها ونمر عليها أحياناً مروراً دون تدبر .

جعلت الكتاب في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ويشتمل على : أهمية إطالة العمر ومفهومها.

الفصل الثاني : الأعمال المطيلة للأعمار وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : إطالة العمر بالأخلاق الفاضلة .

المبحث الثاني : إطالة العمر بالأعمال ذات الأجور المضاعفة .

المبحث الثالث : إطالة العمر بالأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات .

المبحث الرابع : إطالة العمر باستغلال الوقت .

الفصل الثالث : كيفية المحافظة على العمر الإنتاجي من الحسنات .

وقد وثَّقت مسائل الكتاب بعزوها إلى مظانها من كتب العلم ، وحرصت ألا أذكر إلا الأحاديث الصحيحة أو الحسنة وخرجتها من مصادرها ، وأحلت ذلك إلى كتب الشروح ؛ لتكون أيسر للاطلاع على معنى الحديث لا سيما بعد توفر هذه المصادر لدى كثير من طلبة العلم ولله الحمد ، فأحاديث البخاري أحلتها إلى كتاب فتح الباري لابن حجر ، وأحاديث مسلم إلى شرح صحيح مسلم للنووي ، وأحاديث أبي داود إلى عون المعبود ، وأحاديث الترمذي إلى عارضة الأحوذي ، وأحاديث مسند أحمد إلى الفتح الرباني للبنا ، وأحاديث النسائي إلى سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام

السندي ، وأحاديث ابن ماجه إلى شرح سنن ابن ماجه القزويني للإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي .

وأود أن أنبه القارىء الكريم بألا يكتفي بتقليب صفحات هذا الكتاب لمعرفة عناصره ، وإنما يتكرم بقراءة الفصل الأول منه على الأقل بروية ؛ ليدرك أبعاد الموضوع وأهميته ، ومن ثم يعلم سبل إطالة العمر .

وقبل أن أختم كلمتي ، وانطلاقاً من قول الرسول ﷺ : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله »(١) . فإنه لايسعني إلا أن أشكر فضيلة الشيخ عبد الرحيم ابن السيد إبراهيم الهاشم المحاضر في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء على مراجعته للنواحي الشرعية في الكتاب . كما أشكر الأخ الأستاذ خالد الحليبي المحاضر في الكلية نفسها على مراجعته للنواحي اللغوية .

وختاماً فإني أحمد الله تبارك وتعالى على أن أقر عيني بإخراج باكورة ما سطره قلمي وأستغفره من الخطأ والزلل ، وأسأله أن ينفع به وأرجو أن ينصحني إخوتي القراء بمرئياتهم؛ كي تتكامل فوائده في طبعات قادمة بإذن الله .

والله ولي التوفيق ،

أبو عمر
محمد بن إبراهيم النعيم
١٤/ ٤/ ١٤١٤هـ
الإحساء ــ ص.ب ١١٥٣

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ــ الفتح الرباني ــ كتاب الأخلاق الحسنة: باب شكر المنعم والمكافأة على المعروف (١٩/ ٩٥) ، وأبو داود : كتاب الأدب، باب في شكر المعروف (١٣/ ١٦٥) ، والترمذي واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه : أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك وقال حديث حسن صحيح (٨/ ١٣٨) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٩٠٢٨) ووافقه المناوي في فيض القدير (٦/ ٢٢٤) ، والألباني في صحيح الجامع (٦٥٤١) .

الفصل الأول

أهمية الموضوع

الفصل الأول
أهمية الموضوع

لماذا تريد أن تعيش ؟

إن الهـدف من هذه الحيـاة ليس الأكل والشـرب ، لأننا حين نعيش لهـذا الهدف نشـترك مع البهـائم والكفار ، فإن همَّهـم في الحياة الأكل والمتاع كـما وصفـهم الله تعالى ذاماً حـالهم ، فقـال جل وعلا ﴿ **والذين كفروا يتـمتَّعونَ ويأكلونَ كمـا تأكلُ الأنعامُ والنارُ مـثوىً لهم** ﴾[٢] . وإنما الهدف مـن وجودنا وتسـخيـر مـا على هذه الأرض لنا ، هو عـبادة الـرحمن وعـصـيان الهـوى والشيـطان. وبمصطلح تجاري هو أن نجـمع أكبر قـدر ممكن من الحسنـات قبل حلول الأجل ، وأن نحرص كل الحرص على استثـمار أوقاتنا المحدودة بالعمل الصالح الذي يرفع من درجـاتنا في الجنة . ومما ينبغي التنبه له أن السـاعة التي تمر من حيـاتنا ولا نحسن استغـلالها ستكون علينا حـسرة وندامة يوم القيـامة وساعتها سيقول كل مقـصر يا ليتني قدمت لحياتي إلا أن يتفضل الله جل وعلا ويتكرم ، وهو أهل للكرم .

ونحن نختلف عن اليهـود فإنهم يتمنَّون أن تكون حياتهم ليس فـيها موت رغبة في ملاذِّ الدنيا ، إذ يتمنى أحدهم لو يُعمرَّ ألف سنة ، قال تبارك وتعالى: ﴿ **ولتجـدنَّهم أحرصَ النـاس على حياة ومن الـذينَ أشركوا ، يَودُ أحـدهم لو يُعـمَّر ألـف سنة ومـا هو بمزحـزحــه من العـذاب أن يُعـمَّـر والله بـصيـر بما يعملون**﴾[٣] . وأمّا المسلم فيحرص على حـياته ليس لذاتها ، وإنما لكسب أكبر قدر ممكن من الحسنات . فإذا رأى المسلم أن حياته يزداد فيها حسنات وقرباً من

---

(٢) سورة محمد آية (١٢) .

(٣) سورة البقرة آية (٩٦) .

الله ، دعا الله أن يطيل عمره وأن يحسن عـمله ، يشهد لهذا حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً قـال يارسول الله أي الناس خيـر ؟ قال من طال عمـره وحسن عمله . قال فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله »[٤] .

وإذا رأى أن بقاءه في الحياة سيعـرضه إلى فتن وزيادة سيئات ، دعا الله أن يقبـضه إليه غيـر فاتن ولامفتـون ؛ لحديث معاذ بن جـبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يقوله من الدعاء أنه كان يدعو فيقول : « اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي ، وترحمني ، وإذا أردت فتنة في قـوم فتوفني غير مـفتون ، وأسألك حـبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها حق فادرسوها (أي احفظوها) وتعلموها»[٥] .

وهذا لا يعارض ما رواه سعد بن عُـبيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يتمنَّى أحدكم الموت، إما محسنا فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب»[٦] لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح تمني الموت عـند حصول ضرر يـفتن في الدين . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيـاً للموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً

---

(٤) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ كتـاب الجنائز : باب فضل طول العمر مع حسن العـمل (٧/ ٥٠) ، والترمـذي واللفظ له في أبواب الزهـد : باب ما جـاء في طول العـمر للمـؤمن وقـال : هذا حديث حـسن صـحيح (٩/ ٢٠٢) ، ورواه الطبـراني والحاكم وصـححه السيـوطي في الجامع الصغـير (٤٠٣٩) ووافقـه المناوي في فيض القدير (٣/ ٤٨٠) ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٩٧) .

(٥) رواه الإمام أحمد واللـفظ له ــ الفتح الرباني ــ كتاب الترغيب فـي صالح الأعمال : باب الترغيب في خـصال مجتمعـه (١٩/ ٣٠) ، ورواه الترمذي : كتاب التفـسير : باب تفسير سورة ص وقال حديث حسن صحيح (١٢/ ١١٦) ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩) .

(٦) رواه البخاري : كتاب التمني : باب ما يكره من التمني (١٣/ ٢٣٣) .

لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي »[٧] . إذن هدفنا في هذه الحياة ليس أن نعيش كما يعيش الكفار وإنما هو أسمى من ذلك ، وهو أن نحقق عبادة الله جل وعلا وأن نجمع أكبر قدر ممكن من الحسنات قبل الممات .

المشكلة الكبرى :

إن أكبر مشكلة تواجه كل مسلم بل كل إنسان على هذا الوجود هي : أن حياته محدودة ، ومعدودة بسنوات وأيام بل وثوان لا يستطيع أن يزيد فيها لحظة واحدة . فمهما بلغ المسلم من حرص وجهد لكسب الحسنات فلا يزال العمر قصيراً موازنة بأعمار الأمم السابقة؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أعمار أمتي ما بين ستين إلى سبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك »[٨] . فإن متوسط الزمن الإنتاجي للإنسان قد لا يتجاوز عشرين سنة من عمره الكلي. فلو كان عمر الفرد منا ستين سنة فإن ثلثها سيكون نوماً ــ على افتراض أن الإنسان ينام ثمانيَ ساعات يومياً أي ثلث يومه ــ وخمس عشرة سنة تكون فترة طفولة ومراهقة ومشاغبة غالباً ، وهي قبل سن التكليف ، فيبقى حوالي خمس وعشرين سنة قد يمضي منها على الأقل سنتان تقريباً في تناول وجبات الطعام الثلاث وقضاء الحاجة ونحو ذلك من الأمور الملحة ــ على افتراض مضي ساعتين منها يومياً ــ فيبقى حوالي ثلث عمره تقريباً ؛ ثلاثة وعشرون سنة ، وهو ما ينبغي عليه أن يستغله في إنتاج أكبر قدر ممكن من

(٧) رواه البخاري : في كتاب المرض باب تمني المريض الموت (١٠/ ١٣٢) وكتاب الدعوات باب الدعاء بالموت والحياة (١١/ ١٥٤) ، ومسلم : في الذكر والدعاء باب كراهة تمني الموت (١٧/ ٧) والترمذي : باب في النهي عن تمني الموت (٤/ ١٩٥) ، وأبو داود في الجنائز باب كراهية تمني الموت (٨/ ٣٧٣) ، والنسائي في الجنائز باب كراهية تمني الموت (٤/ ٣/ ح١٨٢٠) .

(٨) رواه الترمذي في أبواب الدعاء (١٣/ ٦٥) ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه أهـ . وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١١٩٩) ، ووافقه المناوي في فيض القدير (٢/ ١١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٧٣) .

الحسنات . وذلك الثلث يزيد المرء حسرة على قصر عمره الإنتاجي . ومن هنا تبدأ المشكلة ، وتبرز ضرورة الأخذ بأسباب إطالة العمر .

مفهوم إطالة العمر :

جـاء ذكر إطالة العـمر في حـديث أنس بن مالك ﷺ ، أن رسـول الله ﷺ قال : « من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ لـه في أثره ، فليصل رحمه »[(٩)] وقد اختلفت توجيهات العلمـاء ـ رحمـهم الله ـ لمعنى الإطالة الواردة في هذا الحـديث ، ولعل من أبرز من نقل أقوالهم : الإمـام النووي ، وشيخ الإسـلام ابن تيمية ، والحـافظ ابن حجر ، رحمـهم الله تعالى[(١٠)] . وإني أنقل ماذكروه نصاً :

قال الإمام النووي رحمه الله تعـالى « والأثر : الأجل ؛ لأنه تابع للحياة في أثرها . وبسط الرزق : توسيعه وكثرته ، وقيل : البركة فيه ، وأما التأخير في الأجل ففيـه سؤال مشهور ؛ وهو أن الآجـال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص ؛ ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستـقدمون** ﴾[(١١)] وأجاب العلماء بأجوبة الصحيح **منها** : أن هذه الزيادة بالبركـة في عمره ، والتـوفيق للطاعات ، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة ، وصـيانتها عن الضياع في غير ذلك . **والثاني** : أنه بالنسبة إلى ما يظهر لـلملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو

---

(٩) رواه البـخـاري واللفـظ له في الأدب باب مـن بسط له فـي الرزق بصلـة الرحم (١٠/ ٤٢٩) ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٦/ ١١٤) .

(١٠) وممن تكلم أيضاً في الموضوع ابن قـتيبة الدينوري في كتابه تأويل مـختلف الحديث ، ومرعي الكرمي الحنبلي في كتاب إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان ، والإمام الشوكـاني في كتاب تنبيـه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمـر ونقصانه من الدلائل ، والسيوطي في كـتاب إفادة الخبر بنصه في زيادة العمـر ونقصه ، والبنا في الفـتح الرباني (١٤/ ٢٦٦) ، والبـيهـقي في شـعب الإيمان (٦/ ٢١٩) باب في صلة الرحم ، والمراغي في تفـسـيره عند قوله تـعالى على لـسان نوح (عليـه السـلام) ﴿**ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى**﴾ [سورة نوح آية ٤] ، وشرح العقيدة الطحاوية عند قول المصنف (وضرب لهم آجالاً) .

(١١) سورة الأعراف آية (٣٤) .

ذلك ، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يَصِلَ رَحِمَه ؛ فإن وصلها زيد له أربعون . وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى : ﴿ **يمحو اللهُ ما يشاءُ ويثبت** ﴾[(١٢)] فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قَدَرُه ولا زيادة بل هي مستحيلة ، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث ، **والثالث** : أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت . حكاه القاضي وهو ضعيف أو باطل والله أعلم أهـ »[(١٣)] .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وأما قوله تعالى : ﴿ **وما يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ ولايُنقصُ من عُمُرِه** ... ﴾[(١٤)] فقد قيل أن المراد الجنس أي ما يعمر من عمرٍ إنسان ولا ينقص من عمر إنسان ، ثم التعمير والتقصير يراد به شيئان. **أحدهما** : أن هذا يطول عمره وهذا يقصر عمره ، فيكون تقصيره نقصاً له بالنسبة إلى غيره ، كما أن التعمير زيادة بالنسبة إلى آخر .

وقد يراد بالنقص : النقص من العمر المكتوب كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه » . **وقد قال بعض الناس** : أن المراد به البركة في العمر ؛ بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير . قالوا : لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان . فيقال لهؤلاء تلك البركة ـ وهي الزيادة في العمل والنفع ـ هي أيضاً مقدرة مكتوبة وتتناول لجميع الأشياء . **والجواب المحقق** : أن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة ، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب ، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب . ونظير هذا ما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ «أن آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته فأراه إياهم . فرأى

---

(١٢) سورة الرعد آية (٣٩) .

(١٣) صحيح مسلم بشرح النووي باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٦/ ١١٤) .

(١٤) سورة فاطر آية (١١) .

فيهم رجلاً له بصيص ، فقال : من هذا يا رب ؟ فقال : إبنك داود . قال : فكم عمره ؟ قال : أربعون سنة . قال : وكم عمري ؟ قال ألف سنة . قال : فقد وهبت له من عمري ستين سنة . فكُتب عليه كتاب وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال : قد بقي من عمري ستون سنة . قالوا : وهبتها لابنك داود . فأنكر ذلك ، فأخرجوا الكتاب . قال النبي ﷺ : فنسي آدم فنسيت ذريته ، وجحد آدم فجحدت ذريته »(١٥) وروي أنه كُمِّل لآدم عمره ولداود عمره . فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة ثم جعله ستين(١٦) ، وهذا معنى ما روي عن عُمَر أنه قال : « اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيداً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت ». والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك . والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله ، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها فلهذا قال العلماء أن المحو والإثبات في صحف الملائكة ، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالماً به فلا محو فيه ولا إثبات . . . أ هـ(١٧) . وقال في موضع آخر « والأجل أجلان : أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد ، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ : « من سرَّه أن يُبسط له في رزقه وينُسأ له في أثره فليصل رحمه » ؛ فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال : « إن وصل رحمه زدته كذا وكذا » والملك لا يعلم أيزداد أم لا ، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم

---

(١٥) رواه الترمذي في تفسير سورة الأعراف بلفظ « لما خلق الله آدم . . . » وقال هذا حديث حسن صحيح وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة (١١/ ١٩٦) ، ورواه الحاكم وصححه (٢/ ٣٢٥) ووافقه الذهبي أ هـ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٠٩) .

(١٦) لعل الصواب : « مائة » بدل « ستين » ، لأن آدم عليه السلام حين وهب داود ستين سنة من عمره يكون عمر داود حينئذ مائة سنة وليس ستين .

(١٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٤٩٠) .

ولا يتأخر » أ هـ[18] .

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى « قال ابن التين : ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لايستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمون** ﴾[19] والجمع بينهما من وجهين :

أحدهما : أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة ، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك. ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر . وحاصله أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل ، فكأنه لم يمت . ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح .

ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، أما الأول الذي دلت عليه الآية ، فبالنسبة إلى علم الله تعالى ، كأن

---

(18) المصدر السابق (٨/ ٥١٧) وله كلام جميل مماثل في (٨/ ٥٤٠) .

(19) سورة الأعراف آية (٣٤) .

● قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى : فإن قلت : فعلام يحمل ما تقدم من الآيات القاضية بأن الأجل { لا } يتقدم ولا يتأخر ، ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ {سورة النحل ٦١} . قلت : قد أجاب عن ذلك بعض السلف وتبعه الخلف ، بأن هذه الآية مختصة بالأجل إذا حضر، فإنه لا يتقدم ولا يتأخر عند حضوره . ويؤيد هذا : أنها مقيدة بذلك ، فإنه قال : ﴿**فإذا جاء أجلهم** ﴾ . ومثل هذا التقييد المذكور في هذه الآية : قوله عز وجل: ﴿ **ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها** ﴾ {سورة المنافقون ١١} وقوله سبحانه ﴿**إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر** ﴾ {سورة نوح ٤} فقد أمكن الجمع : بحمل هذه الآيات على هذا المعنى ، فإذا حضر الأجل لم يتقدم ولم يتأخر . وفي غير هذه الحالة يجوز أن يؤخره الله بالدعاء أو بصلة الرحم أو بفعل الخير . ويجوز أن يقدم لمن عمل شراً أو قطع ما أمر الله به أن يوصل وانتهك محارم الله سبحانه أ هـ { تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل (صفحة ٢٧) } .

يقال للملك مثلاً : إنّ عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها. وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاءُ ويثبت وعندهُ أمُ الكتاب ﴾[٢٠] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البته . ويقال له القضاء المبرم ، ويقال للأول القضاء المعلق . والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب ، فإن الأثر ما يتبع الشيء ، فإذا أخر حَسُنَ أن يُحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور . وقال الطيبي الوجه الأول أظهر . . . إلخ أ هـ[٢١] .

وممن كتب في هذا الموضوع من المعاصرين العالم الفاضل ناصر الدين الألباني والشيخ محمد العثيمين وإني أنقل ما قالاه نصاً :

قال العلامة ناصر الدين الألباني في تعليقه على قوله ﷺ : « من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » قال : فالحديث على ظاهره ، أي أن الله جعل بحكمته صلة الرحم سبباً شرعياً لطول العمر وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار كما في بعض الأحاديث الصحيحة ، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمر مقطوع به ؛ لأن هذا بالنظر للخاتمة ، تماماً كالسعادة والشقاوة ، فهما مقطوعتان بالنسبة للأفراد فشقي أو سعيد ، فمن المقطوع به أن السعادة والشقاوة منوطتان بالأسباب شرعاً كما قال ﷺ : « اعملوا فكل مُيسر لما خُلِقَ له فمن كان من أهل السعادة فسيُيَسَّر لعمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيُيَسَّر لعمل أهل الشقاوة » . ثم قرأ ﷺ : ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فسنيسّرهُ لليسرى ، وأما من بخلَ واستغنى وكذَّب بالحسنى فسنيسّرهُ للعسرى** ﴾ ، فكما أن الإيمان يزيد وينقص ، وزيادته الطاعة ونقصانه المعصية ، وأن ذلك لا ينافي ما كتب

(٢٠) سورة الرعد آية (٣٩) .

(٢١) فتح الباري كتاب الأدب باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (١٠/ ٤٢٩)

في اللوح المحفوظ فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب فهو لا ينافي ما كتب في اللوح المحفوظ أيضاً ، فتأمل هذا فإنه مهم جداً في حل مشاكل كثيرة ، ولهذا جاء في الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة الدعاء بطول العمر » أ هـ [٢٢].

وأما الشيخ محمد العثيمين فقد قال : « ليس معنى ذلك أن الإنسان يكون له عمران: عمر إذا وصل رحمه وعمر إذا لم يصل ، بل العمر واحد ، والمقدر واحد ، والإنسان الذي قدَّر الله له أن يصل رحمه سوف يصل رحمه ، والذي قدَّر الله أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ولا بُدّ ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يحث الأمة على فعل ما فيه الخير ، كما تقول من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج ، فالزواج مكتوب والولد مكتوب ، فإذا كان الله قد أراد أن يحصل لك ولد أراد لك أن تتزوج ، ومع هذا فإن الزواج والولد كلاهما مكتوب ، كذلك هذا الرزق مكتوب من الأصل ، ومكتوب أنك ستصل رحمك ، لكنك أنت لا تعلم عن هذا فحثك النبي ﷺ عليه وبيَّن لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يبسط لك في الرزق ، وينسأ لك في الأثر ، وإلا فكل شيء مكتوب . لكن لما كانت صلة الرحم أمراً ينبغي للإنسان أن يقوم به، حث النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك بأن الإنسان إذا أحب أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه ، وإلا فإن الواصل قد كُتبت صلته وكُتب أن يكون عمره إلى حيث أراد الله عز وجل ، ثم اعلم أن امتداد الأجل وبسط الرزق أمر نسبي ، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه ويبسط له في رزقه بعض الشيء ولكن عمره يكون قصيراً وهذا مشاهد ، فنقول هذا الذي كان عمره قصيراً مع كونه واصلاً للرحم لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر ، ولكن الله قد كتب في الأزل أن هذا الرجل سيصل رحمه وسيكون منتهى عمره في الوقت الفلاني » أ هـ [٢٣].

---

(٢٢) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تأليف : ناصر الدين الألباني(صفحة ٥٠) .
(٢٣) المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ١٠٢)

وبالنظر في هذه النقول يتبين أن للعلماء في تفسير معنى الإطالة في العمر ثلاثة أقوال :

القول الأول : البركة .

القول الثاني : الإطالة الحقيقية .

القول الثالث : الذكر الجميل بعد الموت .

والمعنى الثالث لم أر أحدا ذكره وأفرده بقول مستقل إلا الإمام النووي رحمه الله فيما نقله عن القاضي عياض وقد ضعفه النووي جداً ، والإمام ابن حجر فيما نقله عن ابن التين وقد رجحه معه الطيبي ، ولكن لا مانع أن يكون إطالة العمر شاملاً للأنواع الثلاثة وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أما المعنى الأول والثاني فالذي يظهر أنهما غير مدفوعين ، ولعل الأرجح أن كلا المعنيين مراد في الحديث . وإن كانت أحاديث مضاعفة الأعمال التي في المبحث الثاني والثالث من الفصل الثاني تميل بنا إلى المعنى الأول ، وهو ما يقصد بحثنا هذا بيانه وتسليط الأضواء عليه ، واستحثاث الهمم لتحصيله لغفلة بعض الناس عنه . وأما على القول الثاني الذي ارتضاه جمهور العلماء ، فلا يندرج تحته سوى الأعمال التي في المبحث الأول من الفصل الثاني من الكتاب.

والحصيلة التي يجب أن نخرج بها من هذا الخلاف في مفهوم إطالة العمر سواء كانت على الحقيقة أم المجاز ، أن يكون هدفنا في إطالة أعمارنا هو لاستغلال ساعات العمر وثوانيه وتوظيفه لكسب مزيد من الحسنات . وأما الذي يطول عمره ويسوء عمله فهو من شر الناس كما جاء عن النبي ﷺ في حديث أبي بكرة رضي الله عنه السابق (٢٤) .

قال الدكتور يوسف القرضاوي : « والحق أن العمر الحقيقي للإنسان ليس هو السنين التي يقضيها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة . إنما عمره الحقيقي بقدر

(٢٤) راجع حاشية رقم (٤) .

ما يكتب له في رصيده عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات . ولا غرو أن تجد إنساناً يُعمَّر أكثر من مائة سنة ولكن رصيده من تقوى الله ونفع عباده صفرٌ أو ما دون الصفر ، أي : أن رصيده مدين ، إذا تحدثنا بلغة المصارف . وقد يموت إنسان آخر شاباً ولكن رصيده في سنيه القلائل بعد سن التكليف حافل عامر بجلائل الأعمال . يقول صاحب الحكم : رُبَّ عُمُرٍ اتسعت آماده وقلَّت أمداده ، ورُبَّ عمر قليلة آماده كثيرة أمداده . مَنْ بُورِكَ له في عمره أدرك في يسير من الزمن مِنَن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة » أ هـ[٢٥] .

هل يجوز الدعاء بطول العمر ؟

هذا مما أشكل على العلماء ــ رحمهم الله تعالى ــ وجعلهم يختلفون على قولين فمنهم المانع ومنهم المبيح .

● **فأما المانعون لذلك** ، فقد استدلوا بما روته أم حبيبة ﵂ زوج النبي ﷺ أنها قالت : اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية ، قال : فقال النبي ﷺ : قد سألت الله لآجال مضروبة ، وأيام معدودة وأرزاقٍ مقسومة . لن يُعَجِّلَ شيئاً منها قبل حِلِّه ، أو يؤخر شيئاً عن حِلِّه ، ولو كنتَ سألتِ الله أن يُعيذكِ من عذابٍ في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل . . . »[٢٦] .

رأى النووي رحمه الله تعالى من هذا الحديث أنه لا يستحب الدعاء بطول

---

(٢٥) الوقت في حياة المسلم للدكتور يوسف القرضاوي (صفحة ٥٥) ، وقال مثل هذا المعنى ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (فصل : المعاصي تمحق بركة العمر) .

(٢٦) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ في أبواب عذاب القبر باب ما جاء في عذاب القبر والتعوذ منه (٨/ ١٢٢) ، ومسلم واللفظ له في كتاب القدر باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (١٦/ ٢١٢) ، وابن أبي عاصم في السنَّة (١/ ١١٦) .

العمر . فقال في تعليقه على هذا الحديث : « فإن قيل ما الحكمة في نهيها عن الدعاء بالزيادة في الأجل لأنه مفروغ منه ، وندبها إلى الدعاء بالاستعاذة من العذاب مع أنه مفروغ منه أيضاً كالأجل ؟ فالجواب أن الجميع مفروغ منه ولكن الدعاء بالنجاة من عذاب النار ومن عذاب القبر ونحوهما عبادة ، وقد أمر الشرع بالعبادات ، فقيل : أفلا نتَّكل على كتابنا وما سبق لنا من القدر ؟ فقال: اعملوا فكل مُيَسَّر لما خُلق له . وأما الدعاء بطول العمر فليس عبادة . وكما لا يحسن ترك الصلاة والصوم والذكر اتكالاً على القدر ، فكذا الدعاء بالنجاة من النار ونحوه والله أعلم » أ هـ (٢٧) .

وروى سفيان الثوري رحمه الله تعالى أن رجلاً ، قال لعمر بن عبد العزيز: أبقاك الله، قال : قد فرغ من هذا فادع لي بالصلاح (٢٨) .

ونقل بكر أبو زيد قول السفاريني في حكم قول « أبقاك الله » فقال : قال: الخلال في الآداب كراهية قوله في السلام : أبقاك الله . أخبرنا عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال : رأيت أبي إذا دُعي له بالبقاء يكرهه . ويقول: هذا شيء قد فُرغ منه . وذكر شيخ الإسلام قدَّس الله روحه : أنه يكره ذلك ، وأنه نص عليه أحمد وغيره من الأئمة . واحتج له بحديث أم حبيبة (وذكر الحديث) .. إلخ أ هـ (٢٩) .

وعقد الإمام النووي رحمه الله تعالى في الأذكار النووية فصلا عن حكم قول « أطال الله بقاءك » ، فقال فيه: الأشهر أنه يكره أن يقال أطال الله بقاءك. قال أبو جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتاب : كره بعض العلماء قولهم «أطال الله بقاءك» ورخص فيه بعضهم ، قال اسماعيل بن إسحاق : أول من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة ، ورُوي عن حماد بن سلمة ﷺ أن مكاتبة المسلمين كانت: من فلان إلى فلان. أما بعد سلامٌ عليك فإني أحمدُ { إليك}

(٢٧) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢١٣) .

(٢٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٦/ ٣٩٢) .

(٢٩) معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (صفحة ٢٠) ، وذكر ذلك ابن مفلح المقدسي في كتابه الآداب الشرعية (١/ ٤٠٩) .

الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد ، ثم أحدثت الزنادقة هذه المكاتبات التي أولها أطال الله بقاءك أهـ [٣٠] . إلا أن ابن علان علّق على كلام النووي فقال : نازع الأذرعي في إطلاق الكراهة واختار أن الدعاء بذلك لأهل الدين والعلم وولاة العدل قربة ، ولغيرهم مكروه بل حرام أ هـ [٣١] .

• **وأما المبيحون** فيرى ابن حجر رحمه الله تعالى جواز الدعاء بطول العمر للحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال : قالت أمي : يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له . قال « اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته » [٣٢] . وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي بلفظ ليس فيه طول العمر . ولكن بوّب له البخاري بابا بلفظ : باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله ، وعلل ابن حجر هذا التبويب للبخاري على الرغم من عدم وجود حديث صريح بالدعاء بطول العمر سوى ما جاء في الأدب المفرد ، فقال في تعليله : « فقال بعض الشراح : مطابقة الحديث للترجمة أن الدعاء بكثرة الولد يستلزم حصول طول العمر ، وتعقب بأنه لا ملازمة بينهما إلا بنوع من المجاز بأن يراد أن كثرة الولد في العادة تستدعي بقاء ذكر الوالد ما بقي أولاده ، فكأنه حيٌّ . والأولى في الجواب أنه أشار كعادته إلى ما ورد في بعض طرقه ، فأخرج في « الأدب المفرد » من وجه آخر عن أنس قال : « قالت أم سليم ــ وهي أم أنس ــ

---

(٣٠) الأذكار النووية (صفحة ٥٧٠) .

(٣١) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (٧/ ١٢٢) .

(٣٢) رواه البخاري في الدعوات باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة الولد (١١/ ١٤٩) ، وباب قوله تعالى ﴿ وَصَلِّ عليهم ﴾ (١١/ ١٤٠) ، وباب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة (١١/ ١٨٦) ، وباب الدعاء بكثرة الولد مع البركة (١١/ ١٨٦) ، وفي الصوم باب من زار قوما فلم يفطر عندهم (٤/ ٢٦٨) ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضل أنس بن مالك (١٦/ ٣٩) ، والترمذي في المناقب باب مناقب أنس بن مالك (١٣/ ٢٢٣) .

خويدمك ألاَ تدعـو له ؟ فقال : اللـهم أكثر مـاله وولده وأطل حياته واغـفر له»[٣٣] ، فأما كـثرة ولد أنس وماله فوقع عند مسـلم في آخر هذا الحديث من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طـلحة عن أنس : قال أنس « فوالله إن مالي لكثيـر وإن ولدي وولد ولدي ليتـعادون على نحو المائـة اليوم » . . . إلخ أ هـ[٣٤] . وذكر في موضع آخر أن من فـوائد الحديث : الدعاء بكثرة المال والولد وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي[٣٥] .

وروى أبو عمر الضرير عن أبي عَـوانه، قال: دخلت على همَّام بن يحيى وهو مريـض أعودُه، فقـال لي: يا أبا عوانه ادع الله أن لا يُمـيتَني حـتى يبلغ ولدي الصِّـغـار، فقـلت: إن الأجل قد فُـرغ منه، فـقـال لي: أنت بعـدُ في ضلالـك. قلت: بئس المقال هذا، بل كل شيء بقـدر سابق، ولكـن وإن كان الأجل فُرغ منه، فإن الدعـاء بطول البقاء قد صح. دعا الرسـول ﷺ لخادمه أنس بطول العمر، والله يمحو ما يشاء ويثـبت. فقد يكون طول العمر في علم الله مشروطا بدعاء مجاب، كما أن طيـران العمر قـد يكون بأسباب جعلها من جَـوْر وعسف، و «لا يرد القـضاء إلا الدعـاء»، والكتـاب الأول فـلا يتـغيـر أهـ[٣٦] .

ونقل بكر أبو زيد كلام أبي هلال العـسكري عن حكم قول : « أطال الله بقاءك » فقال: إن أول من خاطب بهذا اللفظ هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: حدَّث علي بن حرب الموصلي يرفعه إلى عبـيد بن رفاعه عن أبيه قال : جلس عليّ عليه السلام والزبير وسعد في جماعة إلى عمر رضي الله عنه فتذاكروا العزل فقال:

---

(٣٣) رواه البخـاري في الأدب المفرد واللفظ له (٦٥٣) ، وصحـحه الألباني في صـحيح الأدب المفـرد (٥٠٨) ، ورواه الطبـراني في الكبـيـر (٧١٠) ، والبخـاري ومـسلم والترمذي كلهم بلفظ ليس فيه طول العمر .

(٣٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١١/١٤٩/ح٦٣٤٤) باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة الولد .

(٣٥) المصدر السابق (٤/ ٢٧٠/ ح ١٩٨٢) .

(٣٦) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٣٣) .

لا بأس به . فقال رجل : أنتم تزعمون أنه الموؤدة الصغرى . فقال علي ﷺ لا يكون موؤدة حتى تمر بالتارات السبع ، يكون سلالة من طين ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ولحماً ثم خلقاً آخر . فقال عمر ﷺ : صدقت أطال الله بقاءك . فجرى من يومئذ أ هـ (٣٧) .

وقال الألباني عند تعليقه على حديث أنس : ففيه جواز الدعاء للإنسان بطول العمر ، كما هي العادة في بعض البلاد العربية خلافاً لقول بعض العلماء، ويؤيده أنه لا فرق بينه وبين الدعاء بالسعادة ونحوها ، إذ إن كل ذلك مقدر ، فتأمل أ هـ (٣٨) .

وسُئل فضيلة الشيخ محمد بن العثيمين عن حكم قول « أطال الله بقاءك ، طال عمرك » ؟

فأجاب قائلاً : لا ينبغي أن يُطلق القول بطول البقاء ، لأن طول البقاء قد يكون خيراً وقد يكون شراً فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله ، وعلى هذا فلو قال أطال الله بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك أ هـ (٣٩) .

هذا وسألت فضيلة الشيخ عطية سالم حين زيارته للإحساء عن تصريح الإمام النووي بالنهي عن الدعاء بطول العمر وبسطت له خلاف أهل العلم في ذلك . فقال لي ما نصه : (أقول : ليس في الحديث لفظ نهي . وإنما فيه إرشاد لما هو أفضل وخير ، وكلا اللفظين « أفضل وخير » أفعل تفضيل لأن خير أصله: أخير . حذفت الألف للتخفيف ومثلها « شر » لكثرة الإستعمال . وأفعل التفضيل صيغة تدل على أن أمرين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر مثل قولك : زيد أطول من عمرو . وعليه ففي الحديث تقرير لها على طلبها ولكن وجهها إلى ما هو خير وأفضل. ولو لم يكن جائزاً لقال لها

---

٣٧) معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (صفحة ٤٩)، وانظر الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٤١٤) .

٣٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢٨٨) .

٣٩) المناهي اللفظية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (صفحة ٩ ـ ١٠) ، وكتاب المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد العثيمين (٢/ ٢٢٥) .

بصـريح العبـارة : **لا تطلبي ذلك ، ولم يفـعله . وهذا في نظري مثل التي مـر عليها وهي تُسـبِّح وتعدُّ بالنوِّى ثم عاد فوجدها على ما هي عليـه تُسبِّح وتعد . فقال لها : أمـا زلتي على ذلك ؟ لقد قلت كلمات أربع خير مما قـلت : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . فهو لم ينهها عن** العد بالنوى هذا الكثيـر ، ولكن أرشدها إلى ما هو خير منه مع اخـتصار الوقت وقلة العمل . وهكذا هنا « لو كنت سألت الله . . . لـكان خيراً وأفضل » . إذا فالكل خير وفاضل ، ولكن مـا أرشدها إليه أخير وأفضل . **وعليه فلا دلالة في الحديث على النهي الذي بنوا المنع عليه** . ثم إن المنع عن هذا الدعاء سيفتح باب ترك الدعاء فـيما هو من شأنه أنه مـقدر ومفروغ منه . والحـال أنه لا يخرج أي موضوع يدعى به عن أنه مـقدر مفروغ منه : سعـة الرزق ، كثرة الولد الواردين في حديث أنس بالاتفاق مفروغ منهمـا . ومثلهما : « طول العمر » الذي ذكروا الإختلاف في روايـته فسواء ثبت أم لا فـلا يختلف عن طلب زيادة الرزق والولد وبالله التوفيق . أهـ.

من هذا نخرج بأن الدعـاء بطول العمر مـباح لدعاء الرسول ﷺ لخـادمه أنس وإنما الأفضل والمستحب تركه وأن يقتصر الدعاء بالنجاة من عذاب القبر ومن عذاب النار وبالفـوز بالجنة وما أشبه ذلك ، وهو ما حـث عليه رسول الله ﷺ زوجه أم حبيبة رضي الله عنها . وأن من رَغِبَ الدعاء بطول العمر أو بشيء له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه ، والصـيانة ونحوهما ، كما ذكر ذلك النووي رحمه الله تعالى [(٤٠)] وأكَّده الشيخ ابن عثيـمين ، وأن يتمثل حرصه على هذه الإطالة أيضاً بأعمال البر التي حث عليها الشرع ، والله أعلم .

---

(٤٠) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم تعليقاً على حديث أنس رضي الله عنه : وفيه فضائل لأنس ، وفيه دليل لمن يُفضِّل الغني عـلى الفقير ، ومن قال بتفضيل الفـقير أجاب عن هذا بأن هذا قد دعا له النبي ﷺ بأن يبارك له فيه ، ومتى بورك فيه لم يكن فتنة ولم يحصل بسببـه ضرر ولا تقصير في حق ولا غيـر ذلك من الآفات التي تتطرق إلى سائر الأغنياء بخـلاف غيره ، وفيـه هذا الأدب البديع وهو أنه إذا دعا بشـيء له تعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة ونحوها أهـ (١٦/ ٤٠) .

الفصل الثاني

الأعمال المطيلة للأعمار

تمهيد :

يتضمن هذا الفصل أربعة مباحث في الأعمال المطيلة للأعمار :

المبحث الأول : اطالة العمر بالأخلاق الفاضلة .

المبحث الثاني : اطالة العمر بالأعمال ذات الأجور المضاعفة .

المبحث الثالث : اطالة العمر بالأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات .

المبحث الرابع : اطالة العمر باستغلال الوقت .

المبحث الأول

إطالة العمر بالأخلاق الفاضلة

ويضم ثلاثة فروع :

الفرع الأول : صلة الرحم .

الفرع الثاني : حسن الخلق .

الفرع الثالث : حسن الجوار .

المبحث الأول

إطالة العمر بالأخلاق الفاضلة

أخبـر المصطفى ﷺ عن إمكانية اطالة العـمر [٤١] بالحـرص على بعض خصال الخير والبر ؛ التي في جملتها تدور حول فن التعامل مع الناس ؛ وهي في الفروع التالية :

الفرع الأول : صلة الرحم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمـعت رسول الله ﷺ يقول « من سَرَّه أن يُبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » [٤٢] . ومعنى يُنسأ بضم أوله وسكون النون بعدها أي : يؤخر .

وعن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلة الرحم تزيد في العمر » [٤٣] .

إن صلة الرحم من محاسـن الأخلاق التي حث عليها الإسلام ودعـا إليها وحذر من قطيعتها . فقد دعا الله عز وجل عباده بصلة أرحامهم في تسع عشرة آية من كتابه الكريم ، وأنذر من قطع رحـمه باللعن والعذاب في ثلاث آيات . ولهذا دأب الصالحون من سلف الأمة على صلة أرحـامهم رغم صعوبة وسائل الاتصال في عصرهم . وأما في وقتنا المعاصر فرغم توافر مختلف وسائل النقل والاتصال كالهاتف والسيارة والبريد التـي ينعم بها كثير من الناس ولله الحمد ،

---

(٤١) سبق معنى إطالة العمر في الفصل الأول (صفحة ١٨) .

(٤٢) سبق تخريجه في حاشية رقم (٩) برواية أخرى .

(٤٣) أخرجه القضاعي في مـسند الشهاب وحسنه السيوطي في الجامع الصغـير (٥٠٠٢) وضعفه المناوي في فيض القدير (١٩٦/٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٦٦) .

إلا أنه لا يزال هناك تقصير في صلة الرحم ، إذ لم يستغل ما سخر الله من تلك الوسائل في صلة الرحم . إن الواحد منا قد يشد الرحال إلى بلد بعيد للسياحة ، ولكنه يتثاقل زيارة لأحد أرحامه وهو في نفس مدينته إن لم أقل في نفس منطقته .

إن أدنى الصلة أن تصل أرحامك ولو بالسلام . فهل تكلف أحدنا واستخدم جهاز الهاتف ليتصل بأحد أرحامه على الأقل ويسلم عليه ؟ روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام »[(٤٤)] .

ثم لعل قائلاً منا يقول إن من أسباب قطيعة الرحم كثرة مشاغل الناس اليوم وتوسع المدن . ولكن الناظر إلى أمثال أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما زمن حكمهما لدولة مترامية الأطراف ، مع الرغم من كثرة الأعباء التي كانت على عاتق كل منهما ، وعدم توافر الوسائل الحديثة في النقل والاتصال، إلا أن كلاً منهما كان يجد من وقته وقتاً لزيارة أرحامه وخدمة جيرانه . وأما نحن فنجد الواحد منا يكثر من زيارة أصدقائه والالتقاء بهم ولا يضع في جدوله زيارة أحد أرحامه ولومرة كل شهر .

إن السبب الرئيس في انشغالنا عن صلة أرحامنا لعله سوء إدارة أوقاتنا وعدم تنظيمها ، أو لعدم إحاطتنا بعظم إثم قاطع الرحم ، وبكثرة الانشغال بالزائد من الدنيا . فتجد الواحد موظفاً في الصباح ، ولكنه يربط نفسه بوظيفة أخرى تشغل باقي يومه ، وهو في كفاية من الرزق فيفرط في حقوق أهله وأولاده ووالديه وأرحامه . فحري بك أخي المسلم إن كنت حريصاً على إطالة عمرك أن تصل رحمك فإن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله[(٤٥)] .

---

(٤٤) رواه البزار والطبراني والبيهقي ، قال المناوي في فيض القدير : قال البخاري طرقه كلها ضعيفة ويقوي بعضها بعضاً أ هـ (٣ / ٢٠٧) . وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٨٣٨) .

(٤٥) للاستزادة أنظر كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح الجزء الأول ، وكتاب صلة الرّحم فضلها ، أحكامها ، إثم قاطعها للشيخ محمد طبل وإبراهيم محمد .

الفرع الثاني : حسن الخلق :

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها إنه من أعطي من الرفق فقد أعطي حظه من الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم **وحسن الخلق** وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار »[(٤٦)] .

إن حسن الخلق صفة سامية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فهي تطهر صاحبها من آفات اللسان والجنان وترتقي به إلى مراتب الإحسان مع خالقه ومع سائر الناس . قال عبد الله بن المبارك في تفسير حسن الخلق : «هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى »[(٤٧)] . وقال الواسطي : هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال أيضاً هو إرضاء الخلق في السراء والضراء . وقال سهل : أدنى حسن الخلق الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه » أهـ[(٤٨)] .

إن من المعاب على المسلمين حقاً أن يُعيَّروا بأخلاق الذين كفروا ، بعد أن بين لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن هدف بعثته للناس هو أن يتمم مكارم الأخلاق ، وبعد أن منح الله جل جلاله لصاحب الخلق الحسن أثقل الحسنات يوم القيامة . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء »[(٤٩)] ،

---

(٤٦) رواه أحمد واللفظ له ــ الفتح الرباني ــ كتاب البر والصلة : باب الترغيب في صلة الرحم وقال البنّا حديث متصل صحيح أ هـ (١٩ / ٥٣) ، ورواه البيهقي (٦/ ٢٢٦) ، وحسنه المناوي في فيض القدير (٤/ ١٩٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٦٧) .

(٤٧) رواه الترمذي باب ما جاء في حسن الخلق (٨/ ١٦٩) .

(٤٨) المرقاة شرح المشكاة : باب الرفق والحياء وحسن الخلق (٨/ ٨١٠) .

(٤٩) رواه الترمذي أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق وقال : حديث حسن صحيح (٨/ ١٦٧) ، وروى بعضه أبو داود في الأدب : باب حسن الخلق (١٣/ ١٥٥) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٨٠٤٦) ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٢٦) .

وبعد أن تكرم الله وهو الغني الحميد ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه ، فقال المصطفى ﷺ « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقّاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، **وببيت في أعلَى الجنة لمن حَسَّن خُلُقَهُ** »(٥٠) .

انظر إلى كثير من السلف كيف ورَّثوا لمن بعدهم أروع الأمثلة في الأخلاق الحسنة فكانوا منارات وقدوات يستدل بها على حسن الأخلاق ؛ فزرعوا سنن خير لمن بعدهم فاستمرت أخلاقهم الحميدة وذكرهم الحسن مضرب مثل بعد موتهم ، فاستمرت حسناتهم وطالت بذلك أعمارهم . وانظر إلى نفسك هل خلَّفت لمن بعدك خلقاً حميداً أو موقفاً مجيداً ليحتذى بك ، وتكون مضرب المثل به بين أهلك وولدك أو بين أصدقائك ؟ فحسِّن خلقك مع والديك وأرحامك وزوجك وولدك ومع الناس أجمعين ، وحاول قدر استطاعتك أن تُخلِّف من بعدك ذكراً حسناً تدرك خيري الدنيا والآخرة ، وإذا أردت أن تصل إلى درجات الصائم القائم في الجنة مختزلاً النصب والمصابرة على الصيام والقيام فما عليك إلا أن تحسن خلقك لتدرك هذه الدرجة الرفيعة ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »(٥١) .

إن التحلي بالخلق الحسن بلسم يجدد حياتك، ويطيل بقاءك، ويثقل حسناتك، فالبدار البدار إليه .

الفرع الثالث : الإحسان إلى الجار :

إن الإحسان إلى الجار من الأخلاق الحميدة المطيلة للأعمار . فقد روت

---

(٥٠) رواه أبو داود في الأدب عن أبي أمامة الباهلي ، باب في حسن الخلق (١٣/ ١٥٦)، وقال الأرنؤوط في جامع الأصول إسناده صحيح (١١/ ٧٣٣) ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٦٤) .

(٥١) رواه أبو داود في الأدب : باب حسن الخلق (١٣/ ١٥٤) ، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢٠٩٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٣٢) .

عـائشة رضي الله عنها قـالت : قال رسـول الله ﷺ : « صلة الرحم وحـسن الخُلُق وحسن الجـوار يعمرن الديار ويزدن في الأعمار »(٥٢) .

لقد تناسى كثير من الناس في هذا الزمن حقوق جيرانهم ، وفضل التزاور والإحسـان إليهم ، حتى وصل حـال بعضهم إلى أن يعـيش السنين الطوال لا يعرف اسم جاره ، وقـد يأتيه رجل غريب يسأله عن بيـت فلان من الناس فلا يعرفه ، ثم يفاجأ أنه أحد جيـرانه . والرسول ﷺ يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيُورِّثُه »(٥٣) .

إن من أكثر الأسباب التي أدت إلى عدم التزاور بين الجيران ــ فيما أرى ــ هو ترك صلاة الجماعـة . فإن المسجد يفتح أول قناة للتعـارف بين الناس عامة والجيران خاصة . فحري بك أخي المسلم أن تكثر زيارة جيرانك فتحسن إليهم، وتناصحهم ، وتعرف لهم حقوقهم ؛ لتفوز بطول العمر وكمال الإيمان . روى أبو شـريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال : « من كان يؤمن بالله والـيوم الآخر فليحسن إلى جاره »(٥٤) . انظر إلى عائشـة رضي الله عنها عندما سـمعت بعظم حق الجار وأرادت أن تكون في جملة القائمين بإكـرام الجار ، سألت رسول الله ﷺ فقـالت : « يارسول الله إن لي جارين فـإلى أيهمـا أهدي ؟ قال: إلى أقربهما منك باباً »(٥٥) . فكم جار لك ينتظر منك طرق بابه لتهـدي له ابتسامةً وسلاماً !

---

(٥٢) سبق تخريجه في حاشية رقم (٤٦) واللفظ للبيهقي في الشعب (٦/ ٢٢٦) .

(٥٣) رواه البـخـاري واللفظ له في كـتاب الآدب : باب الوصـاة بالجـار (١٠/ ٤٥٥) ، ومسلم في البر : باب الوصية بالجار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (١٦/ ١٧٦) .

(٥٤) رواه الإمام مسلم : كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف (٢/ ٢٠) .

(٥٥) رواه البـخاري : كـتـاب الأدب باب حق الجوار في قـرب الأبواب (١٠/ ٤٦١) .

المبحث الثاني

إطالة العمر بالأعمال ذات الأجور المضاعفة

ويضم عشرة فروع :

الفــرع الأول : الصـــــلاة .

الفــرع الثاني : الحــج والعمــرة .

الفــرع الثالث : أن تكون مؤذناً أو تقول كما يقول المؤذن .

الفــرع الرابـع : الصيام .

الفرع الخامس : قيام ليلة القدر .

الفــرع السادس : الجهـــاد .

الفـرع السابع : العمل الصالح في أيام عشر ذي الحجة.

الفــرع الثامن : تكرار بعض سور القرآن .

الفــرع التاسع : الذكر المضــاعف .

الفرع العاشر : قضاء حوائج النـــاس .

المبحث الثاني
إطالة العمر بالأعمال ذات الأجور المضاعفة

لو تقصينا الطرق المباشرة لإطالة العمر ، لوجدناها في صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار . وهذا ما نص عليه الشارع الحكيم وتم ذكره في المبحث الأول من هذا الفصل . وحيث أن هدفنا من إطالة أعمارنا كسب مزيد من الحسنات لتقربنا إلى مرضاة الله عز وجل ، فهناك طرق غير مباشرة لإطالة الأعمار ، يكسب سالكها أكبر قدر ممكن من الحسنات في أقصر فترة زمنية ممكنة ، ليصبح العمر الإنتاجي ـ فيما يرى الناظر ـ يفوق العمر الزمني ، وهذا لا يتأتّى إلا بأعمال ذات ثواب مضاعف . وهذا المعنى هو الذي قصده القول الأول من أقوال أهل العلم بالبركة في تعريف إطالة العمر : بأن تعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيرك إلا في الزمن الكثير . وقبل تقصِّي معظم الأعمال ذات الأجور المضاعفة نأخذ مثالاً من الواقع المعاصر يوضح بركة الأعمال ذات الأجور المضاعفة ومدى ارتباطها غير المباشر بموضوع إطالة العمر.

فلو حضر عاملان من بلد ما ليعملا في المملكة العربية السعودية براتب شهري متعارف عليه ؛ مقداره ألف ريال لكل منهما ، ثم قرر أحد العاملين عند بدئه العمل تغيير وظيفته طمعاً في راتب مضاعف فوجد مراده وأعطي ألفي ريال شهرياً في إحدى الشركات . وفي نهاية العقد المبرم معهما مدة سنتين رجعا إلى بلديهما ، فأخبر العامل الأول ذويه أنه حصل على دخل مقداره أربعة وعشرون ألف ريال مدة مكثة في السعودية ، بينما أخبر الآخر أنه حصل على ثمانية وأربعين ألف ريال ، فاستغرب الحضور من قول الثاني ، فقالوا مندهشين : هل أمضيت أربع سنوات في السعودية ؟ فقال كلا وإنما بحثت عن عمل آخر يعطي راتباً مضاعفاً !

فانظر كيـف أن كلا العاملين قد أمضـيا المدة نفسهـا وهي سنتان ، ولكن العـامل الثاني حـصل على ضـعف دخل الأول فكأنه قـد أمضى ضـعف المدة المقررة له في السعودية. فالعامل الثاني ليس هدفه أن يطول بقاؤه في السعودية، وإنما هدفه الحصول على دخل أكبر .

وهنا يكون السـؤال : كـيف يمكن أن تكسب ثواب أعـمـال يفتـرض أن يستغرق أداؤها زمنا يفوق عمـرك المحدود ؟ فكيف يمكن أن تستغل عمرك على افتراض أنه سيكون ستين سنة ليصبح كأنه بلغ ألف سنة أو خمسة آلاف سنة أو عشرة آلاف سنة أو أكثر من ذلك بكثير ؟

يمكن لك ذلك بأن تسلك سبيلين اثنين هما :

(١) الحرص على الأعمال ذات الأجور المضاعفة .

(٢) الحرص على الأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات .

وهذا ما سنتعرض له في هذا المبحث والذي يليه إن شاء الله تعالى .

إن الأعمـال ذات الأجور المضاعفـة أرشد إليها المصطفى ﷺ ، وأخـبر عن مضاعفـة ثوابها مقارنة بأعمال صالحة أخـرى . علماً بأن الله تبارك وتعالى يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها وإلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف مضاعفة ، وذلك فضل من الله تعالى ، ولاعـتبارات منها قدر إخلاص المرء . وفـيما يلي أذكر بعض الأعمال التي نصح بها نبينا محمد ﷺ أمته أن يأخذوا بها وذلك في عشرة فروع .

الفرع الأول

الصـــــلاة

(١) الإكثار من الصلاة في الحرمين الشريفين :

إن كثيراً من الناس يعرف فضل الصلاة في الحرمين الشريفين ، ولكن لهذا الفضل مفهوم خاص تحت موضوعنا هذا . وهو أن الركعة في الحرم المكي بمائة ألف ركعة فيما سواه ؛ لما روى جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه» [٥٦].

لو داومت أخي القارىء في بلدك على أداء السنن الرواتب كلها ــ اثنتي عشرة ركعة يومياً ــ لبلغ عدد هذه الركعات في السنة أربعة آلاف وثلاثمائة وعشرين ركعة (١٢ X ٣٦٠ = ٤٣٢٠) . أما ركعتان في الحرم المكي فتعدل بفضل الله تعالى مائتي ألف ركعة . فإذا أردت أن تكسب ثواب مائتي ألف ركعة من السنن الرواتب في بلدك ، فستحتاج إلى فترة ست وأربعين سنة وثلاثة أشهر تقريباً (٢٠٠,٠٠٠ ÷ ٤٣٢٠ = ٤٦,٣٠) تصلي فيها النوافل كاملة كل يوم . أليس ركعتان في الحرم لا تستغرقان دقائق معدودة تضيفان لك ثواب صلوات من المفترض أن يستغرق أداؤها ستا وأربعين سنة تقريباً في غيرها من البلاد ؟ ولو صليت عشر ركعات في الحرم المكي لا يستغرق أداؤها ثلث ساعة ، كتب لك بإذن الله ثواب مليون ركعة يستغرق أداؤها في بلدك حوالي

---

(٥٦) رواه أحمد واللفظ له ــ الفتح الرباني ــ أبواب فضائل الأمكنة ، باب ما جاء في المسجد الحرام وقال البنا في الفتح : ووثق الحافظ رجال إسناده (٢٣/٢٤٦) ، ورواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي (١/٤٢٨) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٥١٠٦) ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٣٨) .

مائتين وواحد وثلاثين سنة ونصف (٤٦,٣ X ٥ = ٢٣١,٥) ، على منوال محافظتك على السنن والرواتب . فهذا عطاء من الله جزيل لا يستغله كثير ممن يشدون الرحال إلى تلك الديار المقدسة . لذلك علينا استغلال هذه المزية بتكثيف سياحتنا إلى تلك الديار بدلاً من السياحة في دول الشرق والغرب . ومن غفلة بعض المسلمين عن هذا الخير أنهم إذا سافروا في إجازاتهم إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة تجدهم لا يصلون سوى الفرائض ، وقليلاً من النوافل، ثم يجعلون جل أوقاتهم في الأسواق ؛ بحجة شراء الهدايا لأقاربهم وذويهم . وما علموا أنهم أهدروا عمراً إضافياً من حياتهم كان بالإمكان أن يفوزوا به .

(٢) المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد :

إن معظم الناس يعلمون فضل صلاة الجماعة وأنها تفضل على صلاة الفرد بخمس وعشرين أو سبع وعشرين صلاة ولكن الذي سيحرص على إطالة عمره سيجد لهذا الموضوع أهمية عظيمة كما سيمر علينا في بعض فقرات الكتاب . روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة مع الإمام أفضل من خمس وعشرين صلاة يصليها وحده » [(٥٧)] . وفي رواية لابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » [(٥٨)] . فلو توفي رجلان في عمر واحد أحدهما تَعوَّد أن يصلي الفرائض في البيت بمفرده طوال حياته والآخر يصليها في المسجد ، لكان مجموع ثواب صلاة الرجل الثاني أكثر من ثواب نظيره الأول بخمس وعشرين أو سبع وعشرين مرة . أليس الرجل الثاني كأنه عُمِّر فترة أطول من الرجل الأول بخمس وعشرين أو سبع وعشرين مرة ؟ وبعبارة أخرى فإن ما يحصل عليه الفرد من ثواب الصلاة المكتوبة خلال خمس وعشرين أو سبع وعشرين سنة يمكن أن تكسبه أنت في سنة واحدة ؛ لو صلى الأول الفريضة في بيته

---

(٥٧) رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها (٥/ ١٥٢) .

(٥٨) رواه البخاري في كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة (٢/ ١٥٤) ، ومسلم واللفظ له (٥/ ١٥٢) .

وصليتها أنت في المسجد مع الجماعة ، فتأمل ذلك !

إن كثيراً من الناس إذا أُعطي زيادة في الراتب على أن ينتقل إلى مدينة غير مدينته لتغرَّب عن أهله من أجل تلك الزيادة . ألا يحسن بك أن تتغرَّب بضع دقائق عن بيتك لتصلي الفريضة في بيت الله ثم تعود إلى بيتك سالماً غانماً ؟! إني لأعرف شاباً صالحاً إذا فاتته صلاة الجماعة لا يقر له قرار وهو ينتقل بسيارته من مسجد لآخر لعله يدرك جماعة يصلي معهم ، ولو كلَّفه ذلك إلى أن يسير مسافات بعيدة . وإذا لم ينل غايته أصرَّ على أهله أن يصلوا معه ولو كانوا قد أدوا صلاتهم .

ولا تظن المرأة المسلمة أنها محرومة من هذا الثواب المضاعف . فإن صلاتها في بيتها أفضل لها من صلاتها في المسجد ولو كان هذا المسجد هو المسجد النبوي الذي تضاعف فيه الصلاة إلى ألف صلاة فيما سواه ، لما ورد عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني أحب الصلاة معك . قال : « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي » قالت فأَمَرَتْ فبُني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمهِ فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل (٥٩) . تفكَّر أخي القارىء الكريم

---

(٥٩) رواه الإمام أحمد واللفظ له ـ الفتح الرباني ـ أبواب خروج النساء إلى المساجد : باب منعهن من الخروج إذا خشي منه الفتنة وفضل صلاتهن في بيوتهن (٥/ ١٩٨) ، وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصاري وثقة ابن حبان أ هـ (٢/ ٣٤) ، ورواه الطبراني وابن حبان ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه وبوب له باباً قال فيه : باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها على صلاتها في دارها وصلاتها في مسجد قومها على صلاتها في مسجد النبي ﷺ وإن كانت صلاة في مسجد النبي ﷺ تعدل ألف صلاة في غيرها من المساجد ، والدليل على أن قول النبي ﷺ صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من=

في هذا الثواب الجزيل الذي أُعطَي للمرأة المسلمة إذا هي صلَّت في بيتها ، كل ذلك حفظاً لها وصيانة من أن تخالط الرجال ولو كان ذلك في المسجد النبوي الشريف . فلو تأملت المرأة المسلمة الصادقة مع نفسها هذا الحديث ، والتمست منه هذه الحكمة البالغة لعلمت أن قرارها في بيتها هو مرضاة لربها وأمن لمجتمعها ، وإطالة لعمرها الإنتاجي .

(٣) أداء النافلة في البيت :

هل تصدق أخي القارىء أن من صلى النوافل في بيته يتضاعف أجره خمساً وعشرين مرة على من صلاها في المسجد أمام الناس ولو كان في الحرمين ؟ ـ وذلك على عكس الفريضة ـ فقد روى صهيب الرومي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الرجل تطوعاً حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمساً وعشرين »(٦٠) . وفي حديث آخر مرفوع عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : « فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل الفريضة على التطوع »(٦١) .

= المساجد ، أراد به صلاة الرجال دون صلاة النساء أ هـ (٣/ ٩٤) . وحسن إسناده الألباني في صحيح ابن خزيمة وقال تعليقاً على تبويب ابن خزيمة : بل هو يشمل النساء أيضاً ولا ينافي أن صلاتهن في بيوتهن أفضل ، ومثله الرجل إذا صلى النافلة في مسجده ﷺ له الفضل المذكور ، لكن صلاته إياها في البيت أفضل فتأمل . أهـ (٣/ ٩٤) .

(٦٠) رواه أبو يعلى في مسنده ، ضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٥٠٨٢) وسكت عنه المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٢١).

● قال المناوي في فيض القدير تعليقاً على هذا الحديث : لأن النفل شُرِع للتقرب إلى الله إخلاصاً لوجهه ، فكلما كان أخفى كان أبعد عن الرياء ونَظَر الخلق ، وأما الفرائض فشُرِعت لإشادة الدين وإظهار شعاره فهي جديرة أن تقام على رؤوس الأشهاد أهـ (٤/ ٢٢٠) .

(٦١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٧٣) وحسنه ، والسيوطي في الجامع الصغير (٥٨٧١) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٤٤١) .

● أقول لعل هذه المسألة نسبية فيكون تفاوت فضل الصلاة بين المسجد والبيت في النافلة يكون باختلاف البلاد والله أعلم لأن الرسول ﷺ كان يخاطب الصحابة في المدينة وهو يعلم بأن الصلاة في مسجده ﷺ تعدل الف صلاة فيما سواه .

وهذا يعني أن مـجمـوع الحسنات التي يحـصل عليهـا من صلى النوافل في المسجد خلال خمس وعشـرين سنة ، يمكن أن تكسبها أنت خلال سنة واحدة إذا صليتها في البيت أو في المكان الذي لا يراك فيه أحد (٦٢). هل ترضى أن تُفوِّت هذا الأجر العظيم؟ لا أظن ذلك. فاحرص أخي المسلم على أن يكون لك نضيبُ من صلاة التطوع حيث لا يراك الناس، فإنه أكثر لك أجراً وأبعد عن الرياء.

ثم اعلم أخي الكريم أنه كلمـا كـان العمل مُـخلَصاً لله كـان الثواب عليـه عظيمـاً. ثبت عن أبي سعـيد رضي الله عنه أنه قـال : قال رسـول الله ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تزيد عـلى صلاته وحده خمساً وعشـرين درجة ، فإذا صلاها بأرض فـلاة ، فأتم وضـوءها وركوعـهـا وسجـودها ، بلغت صـلاته خمـسين درجة»(٦٣) . لماذا هذا الثواب لمن فعل ذلك ؟ لأنه لم يصل خوفاً من هيئة ، ولم يُذكِّرهُ لـلصلاة صوت مـؤذن ، وليس عنده صديق أو قـريب يرائي أمامـه ولكنه الخوف من الله تبـارك وتعالى ، والاستـشعـار بمراقبة الله له ؛ وهو في صـحراء خاليـة من البشـر ؛ مما جعله يقـوم يصلي فريضـة لله دخل وقتهـا ، فكان ذلك الثواب والأجر المضاعف . فعوِّد نفسك على الإخلاص ؛ بأن تجعل للبيت نصيباً من صـلاة النافلة فإن لك في ذلـك خيـراً عظيمـاً . روى زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « صلوا أيها الناس في بيـوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة »(٦٤) .

---

(٦٢) هذا بشرط قـبول العمل عند الله . وكل الأفكار المطروحة في هذا الكتـاب ستطرق لمعرفـة مقدار الثـواب الوارد فيهـا فحسب ، وأمـا اشتراط الاخـلاص لله في العمل والمتابعة للرسول ﷺ لصحة العمل وقبـوله فذلك مستقر شرعاً ، ومعلوم من دين الإسلام بالضرورة ، فلا داعي لاشتراطه في كل عبارة .

(٦٣) رواه أبو داود في الصـلاة باب مـا جـاء في فـضل المشي إلى الصـلاة (٢/ ٢٦٦) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٥٠٧٨) وقال : رواه عبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم أهـ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٢٤) .

(٦٤) رواه أحمـد واللفظ له ــ الفتح الربـاني ــ أبواب صلاة التطوع : باب فـضل صلاة التطـوع في البـيت (٤/ ١٩٢) ، ورواه البـخـاري فـي الأذان باب صـلاة الـليل (٢/ ٢٥١)، ومسلم في كتاب صـلاة المسافرين وقصرها باب استـحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٦/ ٦٩) .

(٤) التحلي ببعض آداب الجمعة :

هناك آداب نبوية عديدة ومهمة ليوم الجمعة ، يحسن أن نتعلمها كي نُعظِّم هذا اليـوم الذي عظمـه الله جـل جـلاله ورسـوله ﷺ . ومن هذه الآداب نقتطف ما يتـعلق بموضوعنا في إطالة العمر وذلك بالحرص على خـمسة آداب ذكـرها رسول الله ﷺ جـملة في حـديث واحـد ، رواه عنه أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من غسَّل يوم الجـمعة واغتسل ، ثم بكَّر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام ، فاستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة عمل سنة، أجر صيامها وقيامها»(٦٥) .

انظر إلى أحوال كـثير من الناس يوم الجـمعة ، ترى انتـهاكهم للخـصال المذكورة في الحـديث عدا الاغتـسال، فإن معظمـهم يغتسل ولله الحـمد ، ولا ندري أيفعلونه عادة أم عبادة ، علما بأن غسل الجمعة يغسل الخطايا غسلاً .

ومعنى غسَّل قيل جامع أهله، فهو السبب في اغتسالهم فكأنه غسَّلهم(٦٦) . وقـيل معـنى غسَّل أي غـسل رأسـه . ومـعنى بكَّر أي راح في أول الوقت . ومعنى ابتكر أي أدرك أول الخطبـة . ومعنى مشى ولم يركب أي لم يسـتخدم دابَّة ولا سيارة للذهاب إلى الجامع (٦٧) . وبهذا ينبغي الحرص على أداء الجمعة

---

(٦٥) رواه أحمد ــ الفتح الرباني ــ كتاب صلاة الجمعة : باب الغسل للجمعة والتجمل لها (٦/ ٥١) ، وأبو داود واللفظ له فـي كتـاب الطهـارة باب في الغـسل يوم الجـمـعـة (٢/ ١٠)، والترمذي في الصلاة باب في فضل الغسل يوم الجمعة وحسنة (٢/ ٢٨١)، والنسائي في الجمعة باب فضل غـسل يوم الجمعة (٣/ ٩٥/ح١٣٨٠) ، وابن ماجه في باب ما جاء في الغسل يوم الجـمعة (١/ ٣٣٧) ، وابن خزيمة في صحيـحه باب فضيلة الغسل يوم الجـمعة (٣/ ١٢٨) وابـن حبان في صـحيحـه والحاكم وصحـحه ، ورواه الطبراني في الكبير (١/ ٢١٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٠٥) .

(٦٦) وعلى هذا المعنى فقد يحرم آلاف الشبـاب العزاب من هذا الأجر ومن لا يحتسب هذا العمل .

(٦٧) الفتح الرباني (٦/ ٥١) بتـصرف . قال أبو داود : سـئل مكحول عن غسَّل واغـتسل فقال : غسل رأسه وجسده (جامع الأصول (٩/ ٤٣٠) .

في الجامع الأقـرب إليه ، ولا يتـبع المساجـد البعـيدة التي لا يوصل إليـها إلا بالسيارة حتى لا يحرم هذا الثواب العظيم .

وأما اللغو فله صور عديدة يقع فيه كثير من الناس من حيث لا يشعرون . فحري بكل مسلم لا يريد أن يفرط بمثل هذا الثواب المضاعف أن يتدارك أمره ، ويسارع بتعلم آداب الجمعة وأحكامها .

فتـخيل أخي المسلم لو أديت هذه السنن ، وكانت المسـافة التي من منزلك إلى الجامع ألف خطوة على الأقل ، فسيكتب لك إن شاء الله ثواب ألف سنة؛ أجر صيامها وقيامها ليس فـيها سيئة واحدة ، ولا يقف الأمر عند ذلك الحد ، لأنك ستكسب في الشـهر الواحد على هذا المنوال ثواب أربعـة آلاف سنة كلها صيام وقـيام. فكم تتوقع أن تكسبه في سنة واحـدة ؟ وفي عشرين سنة ؟ وفي أكثـر من ذلك ؟ لو بقيت طوال حـياتك صوامـاً قواماً لما اسـتطعت أن تصوم النهار وتقـوم الليل مائة عام ولكـن جاء فضل الله الواسع فـأعطانا نحن الأمة الضعيفـة قصيرة الأعمار هذا الثواب لمن أدَّى هذه الآداب المُيـسرَّة ولله الحمد . فهل ستفرط في هذا الثواب ياترى ؟

أرجو أن لا يكون ذلك !

ولعل أختنا المسلمة حينما تقرأ مثل هذا الـثواب ثم تتذكر أن صلاة الجمعة لا تجب عليها تتحسر على فوات مثل هذا الأجر الكبير ، ولربما قالت في قرارة نفـسهـا يا ليـتني كنت رجـلاً كي أدرك مـثل هذا العطاء . ولكن فلتـعلم أنه بإمكانها مشاركة الرجل في نيل مثل هذا الثـواب حينما تحث زوجها كل أسبوع على التحلي بآداب الجمعة ، فإن الدال على الخير كفاعله .

ولعل من أهداف هذه الأجور العظيمـة للمبكرين لصلاة الجمعة تـرغيبهم لحضور الموعظة وسماعها من أولها بقلوب واعية ، أملا أن يستقيموا على منهج الله عز وجل . وتـأمل أخي القارىء في ثقـافة كثـير من الناس الدينيـة تراها مُتدنِّية جداً ، والسبب أنهم ليسوا من الرواد المبكرين لخطبة الجمعة . ولعل من

أسباب انحراف كثير من الناس وجهلهم بالدين اليوم بُعدهم عن مثل هذه المواطن . ولهذا لا نعجب عندما حذرنا المصطفى ﷺ أن من يَغِبْ عن ثلاث خطب للجمعة متوالية فإن الله يطمس على قلبه ويكون من الغافلين .

فعن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه »[٦٨] .

(٥) المواظبة على صلاة الضحى :

من المعلوم أن الإنسان فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً ، وأن المصطفى ﷺ حثنا على تقديم صدقة يومية عن كل مفصل من هذه المفاصل تعبيراً عن شكرنا لله على هذه النعمة . فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ابن آدم ستون وثلاثمائة مفصل ، على كل واحد منها في كل يوم صدقة ، فالكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة ، وعون الرجل أخاه على الشيء صدقة، والشربة من الماء يسقيها صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة»[٦٩] .

كم من الوقت ستحتاجه لكسب مثل هذا العدد من الصدقات ــ ثلاثمائة وستون صدقة ــ وهي دَيْن عليك يومياً ؟ وهل تستطيع أن تؤديها ؟ آمل ذلك . ولكنك لو صليت كل يوم ركعتين من الضحى ستكفيك لسداد دينك اليومي وتوفر عليك وقتك وجهدك ، وتكون تلك الصدقات زيادة لك في الثواب لو

---

(٦٨) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ في أبواب صلاة الجمعة باب وجوب الجمعة والتغليظ في تركها (٦/ ٢٢) والترمذي واللفظ له في الصلاة باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر (٢/ ٢٨٧) ، وأبو داود في الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة (٣/ ٣٧٧)، والنسائي في الجمعة باب التشديد في التخلف عن الجمعة (٣/ ٨٨/ ح١٣٦٨) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر (١/ ٣٤٦) ، والحاكم (١/ ٢٨٠) ووافقه الذهبي ، وابن خزيمة (٣/ ١٧٦) ، وصححه الأرنؤوط في تخريجه لشرح السنة للبغوي (٤/ ٢١٣) ، والألباني في صحيح الجامع (٦١٤٣) .

(٦٩) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٢).

عملتها . إضافة إلى أنك ستكسب ثواب عمرة بأدائك صلاة الضحى كما سنبين ذلك في فرع الحج والعمرة من هذا المبحث .

فعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال : قال ﷺ « يصبح على كل سُلامى (أي مِفْصَل) من أحدكم صدقة ، فكلُ تسبيحة صدقة ، وكلُ تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونهيٌ عن المنكر صدقة **ويجزيء من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى** »(٧٠) .

إنها لفرصة عظيمة لمن وجد من وقته وقتاً لأداء هذه الصلاة وهي صلاة الأوابين ليحوز هذا الثواب وبالأخص النساء اللاتي معظمهن قواعد بيوتهن .

وأفضل وقت لأدائها عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى . روى زيد بن أرقم ﷺ أنه رأى قوماً يصلون من الضحى فقال : أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل ، إن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الأوَّابين حين ترْمَضُ الفِصَالُ » (٧١) . والفصال جمع فصيل وهو الصغير من الإبل . وترمض الفصال أي حينما تبرك الفصال من شدة الحر لاحتراق أخفافها .

---

(٧٠) رواه الإمام مسلم واللفظ له في كتاب المسافرين : باب استحباب صلاة الضحى (٥/ ٢٣٣) ، وأبو داود في الصلاة : باب صلاة الضحى (٤/ ١٦٤) .

● هناك كلام نفيس في شرح هذا الحديث لابن علان الصديقي في كتابه الفتوحات الربانية (١/ ٢٣٢) فارجع إليه .

(٧١) رواه الإمام مسلم في صلاة المسافرين باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال (٦/ ٢٩) . قال البغوي في شرح السنة : قوله « رمضت الفصال » يريد عند ارتفاع الضحى ، وذلك أن الفصال تبرك من شدة حر الرمضاء وهو الرمل ، لاحتراق أخفافها . يقال : رمضت قدمه من الرمضاء أي احترقت أهـ (٤/ ١٤٥) .

الفرع الثاني

الحـــج والعمـــرة

لا شك أن المسلم لا يمكن أن يحج البيت الحرام إلا مرة واحدة كل عام ، ولا شك أيضاً أن كل مسلم يتمنى أن يحج كل عام ، ويتمنى أن يعمر ألف سنة حتى يحج كل سنة . ولكن مهما حرص المسلم أن يحج كل عام فلن يبلغ عدد حجاته أكثر من عدد سنوات عمره . ولذلك لو قيل عن مسلم أنه حج ستين حجة فمعنى ذلك أن عمره ليس أقل من ستين سنة . ولكن كيف نصل إلى هذا العدد وأكثر منه ليفوق عدد حجنا سنوات عمرنا ؟ هو بالحرص على أداء الأعمال التي ثوابها يعدل الحج والعمرة ومثال ذلك الآتي :

(١) تحجيج عدد من الناس بمالك كل عام قدر الإمكان :

حرص كثير من السلف على الإكثار من الحج والعمرة استجابة لدعوة النبي ﷺ التي رواها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خَبَثَ الحديد والذهب والفضة»(٧٢) فحج الأسود بن يزيد ثمانين مرة بين حجة وعمرة (٧٣) ،

---

(٧٢) رواه الإمام أحمد ـ الفتح الرباني ـ في الحج والعمرة باب ما ورد في فضل الحج والعمرة (١١/٩) ، والترمذي في الحج باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة وقال : حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود (٤/٢٦) ، والنسائي في الحج باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (٥/١١٦/ح ٢٦٢٩) ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٣٢٢٧) ، والمناوي في فيض القدير (٣/ ٢٢٥) ، وحسن إسناده الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٩/ ٤٦١) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٦٥٠) وفي صحيح النسائي (٥٥٨) .

(٧٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢٩) .

وعمرو بن ميمـون ستين مرة مثله [٧٤] ، وحج سعيد بن المسـيب أربعين حجة وغيرهم كـثير [٧٥] . وتأمل أن ذلك كان في زمن ليس فيـه وسائل النقل التي نعم بها ، فكيف لو كانت عندهم ؟

إن الواحـد منا لو قرر شـد الرحـال إلى مكة المكرمـة لأداء مناسك الحج تطوعاً ، لن تقل تكاليف رحلته في الغالب عن بضعة آلاف من الريالات ، مع حمـلات الحج المُرَفهَّة ، وقـد تزيد . فإن كنت حريصـاً على أن تزيد من عدد حجـاتك ولو بدون ذهابك بنفسك إلى الحج ، فـما عليك إلا أن تؤثر غـيرك بتكلفة حـجك وتحجج بها عدداً من الفـقراء الذين قصرت بهم النفـقة عن أداء هذا الركن الذي سقط عنهم ، أو تحجج بعض العمالة المسلمة التي في مدينتك التي تتمنى أداء هذا النسك وقد تثقلهـا تكاليفه ، أو تحجج بعض الذين دخلوا في دين الله حديثـاً ، ويكون ذلك بالتعاون مع أحـد مكاتب الدعوة المختـصه بدعوة غير المسلمين إلى الاسلام وهي مثـبوتة في كافة مدن بلادنا ولله الحمد . حيث تقـوم هذه المكاتب ــ بارك الله في جـهودها ــ ببـرامج سنوية لتحـجيج المئات من المسلمين الجدد بأقل التكاليف على نفقة بعض المحسنين .

كان الفـقيه الزاهد مسلم بن يسـار يحج كل سنة ويحجج معـه رجالاً من إخوانه تعوَّدوا ذلك منه [٧٦] . وكان عبد الله بن المبـارك ذا ثراء فإذا كان وقت الحج ، اجتمع إليـه إخوانه من أهل مرو فيـقولون : نصحبك ، فـيقول هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم فـيجعلها في صندوق ، ويقفل عليها ، ثم يكتري له ويخرجهم من مـرو إلى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ويطعـمهم أطيب الطعام وأطيب الحلوى ، ثم يخـرجهم من بغـداد بأحسن زي وأكـمل مروءة ، حـتى يصلوا إلى مـدينة رسول الله ﷺ فيـقول لكل واحد : مـا أمرك عـيالك أن

---

(٧٤) المرجع السابق (١/ ٣٥٥) .

(٧٥) المرجع السابـق (١/ ٣٧٠) ، وللاستزاده راجع فـهارس نزهة الفضـلاء تهذيب سـير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٧٥) .

(٧٦) المرجع السابق (١/ ٤٣٥) .

تشتـري لهم من المدينة من طُرَفهـا ؟ فيقـول : كذا وكذا فـيشـتري لهم ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا قضوا حجَّهم قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشتـري لهم من متـاع مكة ؟ فيـقول : كـذا وكذا ، فـيشتـري لهم ، ثم يخرجهم من مكة ، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فيُجصِّصُ بيوتهم وأبوابهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام عمل لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وسـرّوا ، دعا بالصندوق ، فـفـتحـة ودفع إلى كل رجل منهم صُـرَّته عليهـا اسمه[77] .

أنا لا أدعوك أن تكون كمثل عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى فإن كثيراً منا لا يطـيق ذلك ، ولكن الذي يمكن أن يـكون في وسـعك هو أن تتـبـرع بتكاليف حجك لمن لم يحج بعد .

إن مبلغ ألف وخمسمائة ريال تقريباً في وقـتنا المعاصر يكفي لتحجيج فرد واحد من العمالة المسلمة عند العـديد من حملات الحج داخل السعودية . فلو حجَّجت ثلاثة أفراد كل عام تكسب بذلك ثواب ثلاث حجات في سنة واحدة. فكأنك أضفت إلى عمرك ثلاث سنين وحـججت في كل سنة منها . فهل تؤثر غيرك بهذا الحج التطوعي لتطيل عمرك الإنتاجي ؟

إن كنت ممن يثـابر على الحج كل عام لنيل الثـواب فحسب ، فـإني على يقين بأنك سـتُقْـدِمُ على هذا الإقـتراح ولو لمرة واحـدة . وأما إن كـان هدف تكرارك للحج : المتعة والسيـاحة أو طلب السمعة أو الرغبة في عدم تـغيير ما اعتاده الناس عنك ، فأنت لست ممن يحرص على إطالة عمره الإنتاجي !

ولعل قـائلاً يقول أنا أرغب الذهاب بنفـسي إلى الحج أملاً أن يـشرح الله صدري للإيمان وأن من يحج بنفسه ليس كمن يُحج عنه في تغير سلوكه وامتلاء فؤاده بالإيمان الذي يُمليـه عليه شرف المكان والزمـان . فإن كان هدفك كـمثل هذا فأرجو الله أن يثيبك على نيـتك وأن يحقق أملك ، وأن يُحببك في وسيلة

---

(٧٧) المرجع السابق (٢/ ٦٥٤) .

أخرى غير هذه لتطيل بها عمرك .

(٢) صلاة الإشراق [(٧٨)] :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة »[(٧٩)] . هذه السنة النبوية قلَّ من يعمل بها في كثير من المساجد اليوم ، وذلك لعدة أسباب من أهمها : السهر إلى ساعة متأخرة من الليل ، خصوصاً في الإجازات ، وهذا يعيق الكثير من مواصلة الجلوس في المسجد إلى طلوع الشمس وأداء هذه الصلاة ، ووجود بعض المؤذنين أو أئمة المساجد ـ زادهم الله حرصاً وعلماً ـ يرفضون أن يبقى أحد في المسجد بعد الصلاة خوفاً على المسجد من العبث .

فحرى بك أخي المسلم أن تأخذ بالأسباب التي تعينك على ذلك ، أو على الأقل أن تقوم بذلك في عطلة نهاية الأسبوع ، حيث لا يربطك في الغالب دراسة أو وظيفة ، فتفوز بثواب حجتين وعمرتين أسبوعياً فكأنك عُمِّرت سنتين فحججت فيهما .

---

(٧٨) كثير من الناس يُفرِّقون بين صلاة الضحى وصلاة الإشراق ويظنون أنهما صلاتان مختلفتان بينما هما شيء واحد .
قال صاحب تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٣/ ١٩٤) : وهذه الصلاة تسمى صلاة الإشراق وهي أول صلاة الضحى أهـ ، وقال الشيخ عبد الرحيم الهاشم هي من صلاة الضحى ولعلها اشتهرت عند الناس بصلاة الإشراق لقربها من شروق الشمس أهـ .

(٧٩) رواه الترمذي في الصلاة باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، وقال هذا حديث حسن غريب (٣/ ٦٨) ، وحسنه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٩/ ٤٠١) وقال هو حديث حسن بشواهده ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٤٨٠) .

(٣) حضور دروس العلم والمحاضرات في المساجد :

إن حضورك لكل درس أو محاضرة تقام في المسجد تنال به ثواب حجة كاملة . فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يُعلِّمه كان له كأجر حاج تاما حجته »[٨٠] .

إن بعض الناس قد يتقاعس عن حضور بعض المحاضرات العامة التي تقام في المساجد إما بحجة زحمة المكان أو للانشغال في بعض الأمور الجانبية التي يمكن تأجيلها ومن ثم يتّكل على أن هذه المحاضرة سيجدها مُسجلَّة في شريط يمكن أن يشتريه ويسمعه في سيارته . ولكن إن كان هذا التصرف لا غبار عليه من جانب وهو لاستغلال الوقت في السيارة بسماع ما يفيد المسلم في دينه ، إلا أنه من جانب آخر فيه حرمان لكثير من الأجور التي قد لا تحصل إلا بمزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ، مثل حصوله على ثواب حجة تامة ، وأنه لا يقوم من مجلسه إلا وقد بدلت سيئاته حسنات ، وحضوره دعوة الخير ، وإحفاف الملائكة له ، وإيواء الله له ، ونحو ذلك من الفضائل التي نجدها مبثوثة في أبواب ثواب طلب العلم . فحري بنا أن لا نتقاعس عن مثل هذه الحلقات والدروس في المساجد . ومما ينبغي علينا استحضاره أيضاً عند حضورنا لمثل هذه المجالس هو نية تكثير عدد المستمعين لما في ذلك من رفع لمعنوية المحاضر ؛ الذي قد يأتي من مكان بعيد متكبداً عناء السفر ثم لا يجد في المقابل من يستمع له إلا العدد القليل من الناس ، وهذا قد يجعل المحاضر يرفض أي دعوة أخرى لإلقاء درس مماثل في نفس المكان ؛ لأنه لم ير من الناس أي إقبال أو اهتمام بالدروس والمحاضرات .

أما بالنسبة لأئمة المساجد فإن هذا الحديث ينبغي أن يكون لهم دافعاً

---

(٨٠) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٩٤) ، والحاكم (١/ ٩١) وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم وقال الذهبي في تلخيصه على شرط البخاري ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٠٤) رواه الطبراني في الكبير بإسنادٍ لا بأس به ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٨٢) .

وحافزاً لتقديم المزيد من الدروس والكلمات النافعة لجماعة المسجد ، وأن يستحضر الإمام هذا الحديث كلما أراد تقديم كلمة أو موعظة في مسجده لينال بهذه النية أكبر عدد ممكن من الحجج (جمع حَجَّة) . وعلى المحاضر إذا طلب منه إلقاء أي درس أن يحرص ألا يقيمه إلا في بيت من بيوت الله ناوياً عدم تفويت ثواب الحجة له وللمستمعين .

(٤) الاعتمار في شهر رمضان :

عن عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها : أم سنان : « ما منعك أن تكوني حججت معنا ؟ » قالت : ناضحان كانا لأبي فلان ــ زوجها ــ حج هو وابنه على أحدهما ، وكان الآخر يسقي عليه غُلامنا قال « فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجةً معي » وفي رواية « فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة »(٨١) . وفي رواية « فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي »(٨٢) . فلا تفوت أخي القارىء عمرة في شهر رمضان ، ولو أن تؤدي مناسك العمرة فقط خلال ساعة تقريباً ثم ترجع إلى بلدك في نفس اليوم . فضلا على ما ستقوم به من صلوات تطوع في الحرم تنال بها ثواباً مضاعفاً لا تحلم بمثله في بلدك(٨٣) .

(٥) أداء الصلاة المكتوبة في المسجد :

نعود إلى الصلاة المكتوبة مرة أخرى ولكن من باب آخر ، ولنعلم بأن الصلاة خير موضوع ، وأنه لا توجد عبادة أكثر تفصيلاً وأكثر أحاديثاً من

---

(٨١) رواه البخاري في كتاب العمرة باب : عمرة في رمضان (٣/ ٧٠٥) ، ورواه مسلم واللفظ له في كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان (٩/ ٢) ، والنسائي في الصيام (٤/ ١٣٠/ ح ٢١٠٩).

(٨٢) رواه البخاري واللفظ له في كتاب جزاء الصيد باب حج النساء (٤/ ٨٦) وأبو داود في المناسك باب العمرة (٥/ ٤٦٥) ، والترمذي في الحج باب ما جاء في عمرة في رمضان (٤/ ١٦٧) ،

● قال الترمذي : قال إسحاق معنى هذا الحديث مثل ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: « من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقد قرأ ثلث القرآن » . أ هـ (٤/ ١٦٧) .

(٨٣) أنظر فقرة الإكثار من الصلاة في الحرمين الشريفين (صفحة ٤٥) .

الصلاة . فبأدائك الصلاة المكتوبة في المسجد مع الجماعة تنال ثواب حجة .

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة ، ومن مشى إلى صلاة تطوع (يعني صلاة الضحى) فهي كعمرة نافلة » (٨٤) وفي رواية أبي داود قال « من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر . وصلاة على إثر صلاة لا لغوٌ بينهما كتاب في عليين »(٨٥) . قال المناوي في فيض القدير في قوله صلى الله عليه وسلم : «من مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة » أي كثوابها ولكن لا يلزم التساوي في المقدار أ هـ (٨٦) .

فالذي يحرص على أن يتطهر في بيته وليس في المسجد ثم يخرج إلى صلاة مكتوبة ويصليها كل يوم خمس مرات في المسجد ويحتسب هذا الثواب فسيكتب له إن شاء الله ثواب خمس حجج كل يوم ، أي ألف وثمانمائة حجة كل عام (٥ X ٣٦٠ = ١٨٠٠) . فتخيل هذا العدد في عشر سنوات ، أو عشرين سنة ، أو ثلاثين سنة ، أو أكثر من ذلك . أليس الذي تكسبه في سنة واحدة من ثواب ألف وثمانمائة حجة كأنك عمرت ألفاً وثمانمائة سنة فحججت فيها كل عام . بل لو تُعمَّر هذه المدة لما استطعت أن تحج كل عام لتنال هذا الثواب . لما سيعتريك من شغل وأمراض شيخوخة ونحو ذلك . ولكن من فضل الله الواسع على هذه الأمة أنه لما جعل أعمارها قصيرة عوَّضها بثواب

---

(٨٤) رواه الإمام أحمد ـ الفتح الرباني ـ كتاب الصلاة : باب في فضل انتظار الصلاة والسعي إلى المساجد (٢/ ٢١٢) ، وأبو داود في الصلاة باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة (٢/ ٢٦٣) ورواه الطبراني في الكبير واللفظ له (٨/ ١٢٧) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٥٦) وقال : رواه أبو داود وأحمد والبيهقي وابن عساكر وابن عدي أ هـ .

(٨٥) رواه أحمد ـ الفتح الرباني ـ كتاب الصلاة : باب في فضل الصلاة والسعي إلى المساجد (٢/ ٢١٣) وأبو داود واللفظ له في الصلاة (٢/ ٢٦٣) ، والبيهقي ، وحسن إسناده الأرنؤوط في جامع الأصول (٩/ ٤١٦) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٥٢٢) .

(٨٦) فيض القدير (٦/ ٢٢٨) .

مضاعف مقابل عبادات قليلة ولله الحمد والمنة . فاحرص على تحصيل ثواب الله ، والزمه وفقك الله لطاعته . فإن من فضل الله أن أعطاك ثواب ألف وثمانمائة حجة في سنة واحدة بمحافظتك على صلاة الجماعة في المسجد كل يوم . فكيف لو حافظت على الصلاة طوال حياتك ، فكم حجة ستجدها في صحيفتك يوم القيامة ؟ لذا فإن دوامك على صلاة الجماعة سيكتب الله لك بها آلاف الحجج تلقي الله بها وعمرك ما بين الستين والسبعين إن شاء الله وأرجو من الله أن يكون عمرك أطول من ذلك .

ولو يعلم المتقاعسون عن الصلاة وأولئك المتسكعون في الشوارع والجالسون أمام الأفلام في أوقات الصلاة ، لو يعلمون عن الثواب العظيم الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى لعباده المصلين هل تظن أخي القارىء أن يبقوا على حالهم ؟ ولكن الله جل جلاله أخفاه عن أنظارنا ليمتحن قلوبنا وإيماننا لأن الإيمان مطلب شرعي ، فإنه أول صفات المتقين في سورة البقرة قال الله تعالى: ﴿ **آلم ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه هُدىً للمتقينَ ، الذينَ يؤمنونَ بالغيب** ﴾[(٨٧)] فلو كان أولئك يستحضرونَ ثواب الله للمصلين لما تركوا صلاة واحدة. كما لو استحضروا عقاب الله لغير المصلين لما تقاعسوا عن صلاة قط . فإن المصلي ما إن يخرج من بيته متطهراً قد غسل الوضوء ذنوبه إلا وقد وُكِّل له ملائكة تصلي عليه وتستغفر له، وخطواته إلى المسجد إحداهما ترفعه درجة والأخرى تمحو عنه سيئة ، ويفوز بثلاث استغفارات له من رسول الله ﷺ إذا كان من أهل الصف الأول [(٨٨)] ويفوز بالصلاة عليه من الله تعالى

---

(٨٧) سورة البقرة آية (٣) .

(٨٨) عن العرباض بن سارية ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يستغفر للصف المقدم ثلاثاً وللثاني مرة { رواه ابن ماجه واللفظ له في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب فضل الصف المقدم (١/٣١٣) ، والنسائي في كتاب الإمامة باب فضل الصف الأول على الثاني (٢/٩٣) وابن خزيمة في صحيحه : كتاب الإمامة في الصلاة : باب ذكر استغفار النبي ﷺ الصف المقدم والثاني (٣/٢٦) ، والحاكم ، وابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٤٨٩) } .

وملائكته[٨٩] ويحصل على أربع كفارات على أقل تقدير داخل الصلاة الواحدة[٩٠] ويفوز بثواب حجة وغيرها من أجور وبركات لا نعلمها . ألا تعلم أخي المسلم أن من فرط في هذه الأجور فإن حالة أعظم من تفريط السفية بماله بل يستحق لقبا أشنع من هذا لعلك تعرفه !!

إن بعض الناس عندهم برود قلب وقلة حرص في حضور صلاة الجماعة . فبعضهم تراهم يصلون في بيوتهم ومنتدياتهم معللين أنهم جماعة ، فيتركون الصلاة في المسجد مفوتين عليهم الأجور الكثيرة سالفة الذكر .

---

(٨٩) عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، قالوا يارسول الله وعلى الثاني ؟ قال إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، قالوا يارسول الله وعلى الثاني ؟ قال وعلى الثاني » . { رواه الإمام أحمد واللفظ له ـ الفتح الرباني ـ أبواب موقف الإمام والمأموم وأحكام الصفوف باب ما جاء في فضل الصف الأول (٥/ ٣٢٠) ، والطبراني في الكبير (٨/ ١٧٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال أحمد موثوقون أهـ (٢/ ٢١) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٤٩٠) } .

(٩٠) وذلك متى وافق تأمينه وتسميعه (أي قول سمع الله لمن حمده) تأمين وتسميع الإمام والملائكة .

فأما عن كفارات التأمين فقد روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إذا أمَّن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » . { رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب جهر الإمام بالتأمين (٢/ ٣٠٦) } ومعلوم أن المصلي يؤمن مرتين في الصلاة الجهرية فيفوز من هذا بكفارتين .

وأما عن كفارات التسميع فروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد (وفي رواية « ولك الحمد») فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » { رواه البخاري في كتاب الأذان : باب فضل اللهم ربنا لك الحمد (٢/ ٣٣٠) ، وروواه مسلم في كتاب الصلاة: باب التسميع والتحميد والتأمين (٤/ ١٢٨) } . ومعلوم أن المصلي يقول ربنا ولك الحمد مرتين على الأقل كما هو الحال في صلاة الفجر ، في حين يقولها أربع مرات في الصلاة الرباعية ، فيحصل بذلك على كفارات بعدد تكرار التسميع داخل الصلاة . أي في الجملة فإن المصلي سيحصل على أربع كفارات على أقل تقدير في كل صلاة من الصلوات الخمس .

أخي القاريء إن أقصر طريق لتعلق القلب بالمسجد يكون بالتعرف على ثواب الله الجزيل للمصلين ، وإن هذا العلم والثواب لا نتوقع أن يجده المسلم من جلسات أمام الأفلام والمسلسلات أو من رفاق السوء . وإنما يعلمه ويتعلمه من درس في المسجد يحضره أو من كتاب يقرأه أو من شريط نافع يسمعه أو من ناصح أمين يوجِّهه . فبادر أخي المسلم بنقل هذه الفضائل إلى مئات بل إلى آلاف الناس الذين يجهلون رحمة الله وكرمه ويتغافلون عن شديد عقابه ، فلعل الله أن يفتح على يديك قلوب بعض الشاردين عن الله فيهتدوا ، والدال على الخير كفاعله ، ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم(٩١) . وطوبى لك إن كنت مفتاح خير ومغلاق شر في مجتمعك (٩٢) فإن بعض الناس إذا رأى شابا لم يُصلِّ قد يعنفه ويسفهه ، وقد يَصلُ به المآل إلى قذفه مباشرة بالكفر والعياذ بالله . وهذا الأسلوب لا ينفع مع كثير من الناس . لذا عليك بأسلوب الترغيب معهم فأخبرهم عما سيثابون عليه لو حافظوا على صلاة الجماعة مما قرأت في هذا الكتاب أو في غيره . وإياك أن تكون فظّاً في نصيحتك . فإن كنتَ فظًّا في موعظتك فإن الناس ستنفضُّ من حولك ، ولكن ألِنْ لهم جانبك وكن مُعيناً لهم على الشيطان ولا تُعِن الشيطان عليهم . وتذكر أن الكلمة الطيبة اللينة والأسلوب الحسن في الدعوة صدقة من

---

(٩١) عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ في غزوة خيبر : « فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون له حُمُرُ النَّعمَ » { رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ (٧/ ٨٧) ، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (١٥/ ١٧٨) } .

(٩٢) عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » . { رواه ابن ماجه في المقدمة (١/ ١٠٤) وضعفه المناوي في فيض القدير (٢/ ٥٢٨) ، وحسنه الألباني فيّ صحيح ابن ماجه رقم (١٩٤) ، وفي صحيح الجامع رقم (٢٢٢٣) } .

الصدقات، وأن الهداية ليست بيدك ، وإنما أنت سبب فابذله بشروطه والتوفيق بيد أرحم الراحمين .

(٦) الصلاة في مسجد قباء :

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه كان له كأجر عمرة » . وفي رواية للنسائي « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه كان له عدل عمرة »(٩٣) .

فتخيل كم تحتاج هذه العمرة من وقت وتكاليف بدنية ومالية ، وركعتان في مسجد قباء تختزل ذلك الوقت كله ، وتكسب بها ثواب عمرة ولله الحمد والمنة . لذا فاحرص إذا شددت الرِحال لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكثر من زيارة مسجد قباء لتكسب أكبر عدد ممكن من العُمَر (جمع عمرة) .

---

(٩٣) رواه أحمد ــ الفتح الرباني ــ أبواب فضل المساجد الثلاثة مجتمعة : باب ما جاء في فضل مسجد قباء والصلاة فيه (٢٣/ ٢٨٣) ، ورواه الترمذي عن أُسيد بن ظُهير في أبواب الصلاة : باب الصلاة في مسجد قباء وقال : حديث أُسيد حديث حسن غريب ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئاً يصح غير هذا الحديث أ هـ (٢/ ١٢١) . ورواه النسائي في كتاب المساجد : باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه (٢/ ٣٧/ ح ٦٩٨) ، وابن ماجه واللفظ له في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها : باب الصلاة في مسجد قباء (١/ ٤٣١) ، والحاكم (١/٤٨٧) ، وحسنه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٩/ ٣٣٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٥٤) .

الفرع الثالث
أن تكون مؤذنا أو تقول كما يقول المؤذن

أرأيت جميع الفضائل والمزايا التي ذكرت في الكتاب في شأن الصلاة التي سيحصل عليـها كل من قَبِلَ الله صلاته في المسجد مع الجـماعة إن شاء الله ، فإن المؤذن سيحصل على أكثر من ذلك .

تعال معي نتجول تحت هذه الفقرة ونسبح في بحر خضم من فضائل الله ، لم يسبح فيه ولم يغترف منه إلا قليل من الناس العارفين بهذا الفضل .

فقد أخـبر رسول الله ﷺ صحـابته الكرام بمجموعـة من فضائل الأذان والمؤذنين حتى جاءه أحد الصحابة سائلا كيف يفوز بما فاز به المؤذنون ! .

فعن عـبـد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلا قـال : يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا . فقال رسـول الله ﷺ : « قل كمـا يقولون ، فإذا انتهيت فسل تعطه » (٩٤) .

وكأنَّ الصحابي الجليل يسأل فما تأمرنا به من عـمل نلحقهم بسببه ؟ فقال له رسول الله ﷺ « قل كما يقولون » أي ـ إلا عند الحيعلتين فتقول لا حول ولا قوة إلا بالله ـ فـيحصل لك الثـواب مثلهم . ثم أفـاد زيادة على الجواب بقوله : « فـإذا انتهيت فـسل تعطه » أي إذا فرغت من الإجـابة فسل تعطه أي يقبل الله دعاءك (٩٥)

---

(٩٤) رواه أحمد ـ الفـتح الرباني ـ في أبواب الأذان والإقامة باب ما يقـول المستمع عند سمـاع الأذان والإقامـة وبعد الأذان (٣/ ٣٠) ، ورواه أبو داود واللفظ له في كـتاب الصلاة باب ما يقول إذا سـمع المؤذن (٢/ ٢٢٧) ، وحسن اسناده الأرنؤوط في جامع الأصول (٩/ ٣٨٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٠٣) .

(٩٥) عون المعـبود (٢/ ٢٢٧) والمنهل العذب المورود (٤/ ١٩٥) والمرقـاة في شرح المشكاة (٢/ ١٧٢) بتصرف .

فما هو الأجر والثواب الذي يحصل عليـه المؤذن حتى نتعرف عليه لنكون مؤذنين أو نقول كما يقولون ؟

قد جاءت أحاديث نبوية في فضل الأذان والمؤذنين (٩٦) ولكن أقتطف منها حديثا واحدا يناسب موضوع الكتاب :

عن البـراء بن عـازب رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : « إن الله ومـلائكتـه يصلون على الصف المقدم . والمؤذن يغفر له مدى صـوته ، ويُصدِّقه من سمعه من رَطْبٍ ويابس ، وله أجر من صلى مـعه » (٩٧) . لو اكتفـينا بشرح ثواب العبارة الأخيرة من الحديث فما مقدار ذلك ؟

تخيل أخي المسلم لو كـان في مسجد منطقتك علـى الأقل مائة مصلٍ في كل فريضة . فـإذا كنت مؤذناً أو مجيـباً للمؤذن فلك ثواب مائة مـصل إضافة إلى ثوابك الذي تقدم ذكـره في الفقرات الـسابقة ، والذي يشـتمل على ثواب سبع وعـشرين صلاة ، وثواب حجـة ، وثواب الخطوات إلى المسجد وغـيرها كثـير . فلو حسـبنا فقط مـا سـتناله من ثـواب للحج فإنك سـتكـسب في

---

(٩٦) للاستزاده راجع كتاب شرح السنة للبغوي (٢/ ٢٧١) ، والفتح الرباني (٣/ ٢ـ٤٣)، وجامع الأصول (٩/ ٣٧٧) .

(٩٧) رواه أحـمد ـ الفـتح الرباني ـ أبواب الأذان والإقـامـة : باب الأمر برفع الصـوت بالأذان وفضله وقـال البنَّا : قال المنذري : رواه أحـمد والنسـائي بإسناد حسن جـيد أهـ(٣/ ١٠). ورواه النسائي واللفظ له في كـتاب الأذان : باب القول مثل مـا يقول المؤذن (٢/ ١٣/ ح ٦٤٥) ، والطبراني عن أبي أمامة ، وصحـحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٣٠) و (٢٣١) .

● قال البنـا في الفتح الرباني : وقـوله ﷺ : « وله أجر من صلى مـعه » أي من حضر الصلاة بسماع أذانه لأنه المتسـبب ، والدال على الخير كفاعله أهـ . قال الشيخ عبد الرحـيم الهاشم : إن قـول البنا رحمـه الله (من حضر الصـلاة بسماع أذانه) لا يلزم منه الصلاة معـه ، وإنما من صلى بسبب أذانه من امرأة في بيتهـا ومعذور لا يستطيع الحضـور بما لا يلزم منه جميع من صلى معه في المسـجد لأنه قد يكون منهم من حضر فيه بناء على صوت مؤذن آخر والله أعلم أهـ .

الفريضة الواحدة ثواب مائة حَجَّة ـ على افتراض وجود مائة مصل ـ وفي اليوم الواحد ثواب خمسمائة حجة (خمس فرائض × ١٠٠ مصلٍ) فكأنك عُمِّرت خمسمائة عام فحججت في كل سنة منها فكيف لو أذَّنت للجمعة أو كنت مجيباً للمؤذن وفي الجامع آلاف الناس فما هو الثواب الذي ستحصل عليه؟ وكيف لو أذنت أو كنت مجيباً للمؤذن في صلاة العشاء أو الفجر ؟ فإن عمرك سيزداد طولا لما رواه عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة »(٩٨) . فلو وجد مائة مصل على الأقل في مسجد منطقتكم في صلاة العشاء وقد أذنت أو أجبت المؤذن فلك بثواب أولئك المصلين ثواب قيام خمسين ليلة (١٠٠مصل × ١/٢ ليلة) أي كأنك أضفت إلى عمرك خمسين ليلة قمتها كلها لله لحضورك صلاة العشاء جماعة فقط إضافة إلى ما سبق من أجور . وأما إذا فعلت ذلك في صلاة الفجر فالثواب يرتفع إلى الضعف ، فتأمل !!

لا تعجب من فضل الله الواسع ولكن اعجب من غفلة الناس عن هذا الخير . ولا تقل إن هذا الكلام لا يمكن تصديقه أو فيه مبالغة في الثواب . فلقد قال لنا ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ أنه قال : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا (أي اقترعوا) ، ولو يعلمون ما في التهجير (أي التبكير ، وقيل الإتيان إلى صلاة الظهر أول الوقت) لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة (أي العشاء) والصبح لأتوهما ولو حبوا » (٩٩) . فإنَّ أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، ولو

---

(٩٨) رواه أبو داود واللفظ له في الصلاة : باب فضل صلاة الجماعة (٢/ ٢٦١) ، والترمذي في الصلاة : باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في جماعة وقال حديث حسن صحيح (٢/ ٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٤٢).

(٩٩) رواه البخاري في كتاب الأذان : باب الإستهام في الأذان (٢/ ١١٤) ، ورواه الإمام مسلم في كتاب الصلاة : باب تسوية الصفوف وإقامتها (٤/ ١٥٧) .

علموا لاستهموا كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ .

فيا أخي المسلم هل ستقول كما يقول المؤذن ؟ أم هل ستفوِّت عليك هذا الأجر اليومي خمس مرات ؟ فلو يعلم الناس بهذا الفضل الكبير من الله لما انشغلوا بأحاديثهم وأعمالهم في أثناء الأذان ، ولو علموا بهذا العطاء الجزيل لاحترموا الأذان إذا سمعوه ، وكذا صغارهم اقتداء بآبائهم ؛ لأن الأذان أحد شعائر الإسلام البارزة . التي احتقرها بعض الناس ؛ جاء عن عمر رضي الله عنه أنه سأل قوماً فقال لهم : « من مؤذنوكم اليوم ؟ قالوا موالينا وعبيدنا . قال إن ذلك لنقص كبير» (١٠٠) . وقد ورد عنه رضي الله عنه أنه كان يتمنى أن يكون مؤذناً لولا اشتغاله بمنصب الخلافة .

وأما المرأة فإن لها نصيبا أيضا في هذا الجانب الميسر بل وفي كل الجوانب المذكورة في الكتاب . فإن المرأة المسلمة يمكنها أن تقول كما يقول المؤذن فتكسب ما يكسبه المؤذن ؛ أي فتكسب بعدد المصلين في المسجد حجات ؛ ولو لم تُصلِّ مع الرجال في المسجد ، ولو كانت في فترة الحيض والنفاس فلله الحمد والمنة على فضله الواسع .

---

(١٠٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٤/ ١٦١) .

الفرع الرابع

الصيــــام

حث النبي ﷺ المسلمين على الإكـثار من صيـام النفل طوال أيام السنة صيفاً وشتاءً . فرغّب في صيام أيام الإثنين والخميس وأيام البيض وشهر شعبان وعشر ذي الحجة وشهر محرم وغيرها . بل وجعل من أفضل الصيام من جعل نصف حياته كلها في صوم ، وهو المتمثل في صيام داود عليه السلام الذي كان يصوم يومـاً ويفطر يوماً [(١٠١)] . ولهذا أمـضى كثير من السلف رحـمهم الله تعالى معـظم أيامهم في صيام ، حتى بالغ بعضهم بصيام الدهر كله ، وهو أمر منهي عنه ولعله لم يبلغـهم ذلك [(١٠٢)] . كل ذلك حرصاً منـهم رحمهم الله تعالى على أن يكون في ميزانهم عددٌ ضخمٌ من أيام حياتهم كلها صوم .

فمن هذا المنطلق والحـرص على منافسـة القوم ، فهناك وسـائل يمكن بها إطالة أعمـارنا بطريق غيـر مباشـر لكسب ثواب صيـام أيام تزيد على سنوات أعمارنا . وإليك بعض الأمثلة :

---

(١٠١) عن عبد الله بن عـمرو رضي الله عنهما قال : قال لي رسـول الله ﷺ « أحب الصيام إلى الله صيـام داود كان يصوم يومـاً ويفطر يوماً ، وأحب الصـلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه » { رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ أبواب صلاة الليل والوتر : باب مـا جاء في فضل صلاة الليل والحث عليـها وأفضل أوقـاتهـا (٤/ ٢٣٦) و (١٠/ ٢٢٩) و (٢٠/ ١١٧) ، ورواه البـخـاري واللفظ له في كتـاب الأنبيـاء باب أحب الصلاة صـلاة داود (٦/ ٥٢٥) ، ومسلم في الصـيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقـاً أو لم يفطر في العيدين والتشريق وبيان تفـضيل صوم يوم وإفطار يوم (٨/ ٤٦) ، والنسائي في الصـوم باب صوم يوم وإفطار يوم (٤/ ٢٠٩/ ح ٢٣٨٧) } .

(١٠٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا صام من صام الأبد » مرتين { رواه البخاري في الصوم باب حق الأهل في الصوم (٤/ ٢٦٠) } .

(١) صيام أيام مخصوصة :

إن صيامك اثنين وأربعين يوماً في السنة سوى رمضان ، يُكتب لك به ثواب صيام سبعمائة وعشرين يوماً أي سنتين . كيف يكون ذلك ؟ تعالَ معي إلى التفاصيل :

إذا أردت أن تنال ثواب من يصوم الدهر بأقل جهد ممكن ودون أن تقع في النهي الوارد في ذلك ، فما عليك إلا أن تقوم بالآتي :

(١) المحافظة على صيام ست من شوال بعد رمضان وذلك لما رواه أبو أيوب الأنصاري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر »[١٠٣] .

(٢) المحافظة على صيام أيام البيض من كل شهر عربي وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وذلك لما رواه جرير بن عبد الله ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر ، وأيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة ، وأربع عشرة، وخمس عشرة »[١٠٤] . أو صيام أي ثلاثة أيام شئت ؛ وذلك لما رواه أبو ذر الغفاري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « من صام من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صيام الدهر ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ تصديق ذلك في

---

(١٠٣) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ في أبواب صيام التطوع باب صوم ست من شوال (١٠/ ٢٢١) ، ومسلم واللفظ له في الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان (٨/ ٥٦) ، والترمذي في الصيام باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال (٣/ ٢٩٠) ، وأبو داود في الصيام باب في صوم ستة أيام من شوال (٧/ ٨٦).

(١٠٤) رواه النسائي واللفظ له في الصوم باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر (٤/ ٢٢١/ح ٢٤١٩) ، وأبو يعلى ، والبيهقي في الصوم باب صوم ثلاثة أيام من كل شهر (٣٨٥٣) ، وحسنه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٦/ ٣٢٩) ، ووافقه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٤٩) . ورواه مسلم بلفظ « صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر » عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٨/ ٤٨) .

كتابه ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ اليوم بعشرة أيام » [الأنعام ١٦٠](١٠٥) .

فخلاصة ما سبق أنه بمحافظتك على صيام ست من شوال بعد رمضان يُسجل لك ثواب صيام سنة كاملة . وليس ذلك فحسب ، بل لو زدت على ذلك فصمت ثلاثة أيام من كل شهر أي ما يساوي ستة وثلاثين يوماً في السنة يُسجل لك ثواب صيام سنة أخرى .

ومتى حافظت على هذين العملين ، يسجل لك ثواب صيام سنتين . وبهذا نصل إلى أن صيامك اثنين وأربعين يوماً فقط في السنة (٣٦ + ٦) سوى رمضان ، يسجل لك به ثواب من صام سبعمائة وعشرين يوماً فيما سواه. فلو ثابرت على هذا العمل كل سنة لمدة عشر سنين يكتب لك ثواب صيام عشرين عاماً وأنت لم تصم سوى أربعمائة وعشرين يوماً (أي سنة وشهرين) سوى رمضان .

إن كثيراً من الناس يحافظون على صيام ست من شوال بعد رمضان ولله الحمد ، فإن اكتفيت بذلك سُجل لك كمن صام الدهر كله أي السنة كلها . وأما إن واصلت العمل وقمت بأداء العمل الثاني وهو صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فإنه يسجل لك فوق ذلك ثواب صيام دهر آخر . فكأنك أمضيت من عمرك سنتين كاملتين كلها في صيام ، فتحصل في نهاية الأمر على ثواب صيام أيام تفوق عدد سنوات عمرك ، فتأمل فضل الله .

(٢) تفطير الصائمين :

إذا أراد الواحد منا أن يكسب ثواب صيام يوم واحد ، فلا بُدّ أن يُمضي نهار ذلك اليوم ممسكا عن المفطرات . فما رأيك أن تكسب ثواب صيام عدة

---

(١٠٥) رواه الترمذي واللفظ له في الصيام باب في صوم ثلاثة أيام من كل شهر (٣/ ٢٩٣) وقال هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في الصوم باب من صام ثلاثة أيام من كل شهر (٤/ ٢١٨/ ح ٢٤٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٦٠٩) .

أيام في أقل من ساعة ، وذلك بتفطير الصائمين !

إن تفطير الصائمين وسيلة ميسرة ــ لمن أنعم الله عليهم بالمال ــ يمكن بها إطالة العمر الإنتاجي بالقدر الذي تريد ، وذلك بتفطير أكبر عدد ممكن من الناس خاصة في رمضان . فإن من فطَّر صائماً فله مثله أجره . روى ذلك زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من فطَّر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً »(١٠٦) .

لقد توفرت عن طريق كثير من الهيئات الإغاثية الموثوقة لجان لتفطير الصائمين من الفقراء المسلمين في شتى دول العالم بتكاليف زهيدة تُمكِّن المسلم أن يفطر عشرات الصائمين بأقل ما يمكن .

فإذا فطَّرت في اليوم الواحد خمسة صائمين مثلاً ، سُجِّل لك في ذلك اليوم ثواب صيام خمسة أيام . ولو فطرت مائة صائم في العام ، فكأنك أضفت إلى رصيدك مائة يوم لم تعشها وكلها صيام . فكيف لو فطَّرت بعدد أيام السنة ، فكأنك صمت الدهر كله ! فبإنفاقك قليلاً من المال يسجل لك ثواب صيام أيام لم تصمها بل ولم تعشها أيضاً . فأكثر لنفسك ما شئت أو أقلل من هذه الأيام.

ألا ترغب أن يسجل لك على الأقل ثواب من يصوم كصيام داود عليه السلام ؟ بأن تُفَطِّر مائة وثمانين صائماً كل عام ، فكأنك صمت مائة وثمانين

(١٠٦) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ في أبواب الإفطار والسحور باب فضل وقت السحور وما يقال عنده وفضل من فطر صائماً (١٠/ ١٠) ، والترمذي واللفظ له في الصوم باب ما جاء في فضل من فطر صائماً وقال هذا حديث حسن صحيح (٤/ ١٩)، وابن ماجه في الصوم باب في ثواب من فطر صائماً (١/ ٥٣١) ، وابن خزيمة في جماع أبواب وقت الإفطار وما يستحب أن يفطر عليه : باب إعطاء مفطر الصائم مثل أجر الصائم من غير أن ينقص الصائم من أجره شيئاً (٣/ ٢٧٧) ، وابن حبان ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٨٨٨٩) ، والمناوي في فيض القدير (٦/ ١٨٧) ، وصححه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٩/ ٤٥٩) ، والألباني في صحيح الجامع (٦٤١٥) .

يوماً وهو ما يساوي نصف السنة ، إضافة إلى ثواب صيامك لشهر رمضان . فكما سبق فقراء المهاجرين إخوانهم الأغنياء في تصدقهم وعتقهم بجهد أقل وعبادة أيسر تناسب حالهم هي التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة(١٠٧)، فإن بإمكانك منافسة من يصوم كصيام داود عليه السلام ، بأن تفعل ما ذكر لك آنفاً ، وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : قد ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلا والنعيم المقيم . فقال وما ذاك ؟ قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق . فقال رسول الله ﷺ : « أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة » قال أبو صالح ـ فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال رسول الله ﷺ : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » : [رواه البخاري في كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة (٢/٣٧٨) ، ومسلم واللفظ له في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة (٥/٩٢) ، والموطأ في القرآن باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى (١/ ٢١٠) ، وأبو داود في تفريعات الوتر باب التسبيح بالحصا (٤/ ٣٧٠)] .

الفرع الخامس
قيـــام ليلة القـــدر

احرص على قيـام العشر الأواخر من رمضـان ، ولو أن تضطر إلى تأجيل الأعمـال الدنيوية ، فلعلك تحظى بقيام ليلة القـدر ؛ فإن قيـامك فيهـا تجارة عظيمة لا تعوض .

فقيام ليلة القدر ــ وهي إحدى ليالي الوتر من العشر الأخير من رمضان ــ أفضل عند الله من عـبادة ألف شهـر ليس فيهـا ليلة القدر وذلك لقـوله تبارك وتعالى ﴿ **ليلة القدر خيـر من ألف شهر** ﴾ [١٠٨] أي ثواب قيامـها أفضل من ثواب العبادة لمدة ثلاث وثمانين سنة وثلاثة أشهر تقريبا . ولو أصاب مسلم ليلة القدر فقـامها لمدة عشرين سنة فإنه يكـتب له بإذن الله ثوابٌ يزيد على من عبد الله ألفا وسـتمائة وسـتة وستين سنة (٨٣,٣٣ X ٢٠ = ١٦٦٦,٣٣ سنـة). أليس هذا عمراً إضافياً طويلاً يسجل في صحيفتك لا تحلم أن يتحقق لك فتقوم به في الواقع؟ .

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره « واعلم أن من أحياها فكأنما عبد الله تعالى نيّـفاً وثمانين سنة ، ومن أحيـاها كل سنة فكأنما رزق أعماراً كـثيرة أ.هـ. [١٠٩] .

إننا نرى كثـيراً من الرجـال والنساء قـد حرموا أنفـسهم من هذا الخـير ، وتقاعسوا عن قيام ليالي رمضان خصوصا العشر الأخيرة منها . فتراهم يمضون ليلهم إما في الأسواق ، أو في مجالس سـمر ، أو أمام الأفلام ، أو منهمكين

---

(١٠٨) سورة القدر آية (٣) .

(١٠٩) التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ٣١) .

في حل فوازير رمضان ، بينما كانت بيوت السلف رحمهم الله تعالى ومساجدهم تحيا في ليالي رمضان بالطاعة والذكر والصلاة . بل وجد من الناس اليوم من أحيوا أسواقهم بالتجوال فيها من أول يوم من رمضان إلى نهايته ؛ استعدادا ليوم العيد كما زعموا . فقصر عمرهم الإنتاجي ، وقلَّت حسناتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وتأتي أهمية قيام ليلة القدر أنها ليلة يحدد فيها مصير مستقبلك لعام قادم، ففيها تنسخ الآجال ، وفيها يفرق كل أمر حكيم. [(١١٠)] فاحرص أن تكون فيها ذاكرا لله ومسبحا له ، أو قارئا للقرآن ، أو قانتا لله ، تسأله السعادة في الدنيا والآخرة ، وإياك أن تكون فيها في مواطن الغفلة ؛ كالأسواق ومدن الملاهي ومجالس اللغو فيفوتك خير كثير .

---

(١١٠) للاستزادة انظر تفسير قوله تعالى: ﴿فيها يُفْرَقُ كلُ أَمْرٍ حكيم﴾ آية (٤) من سورة الدخان .

الفرع السادس

الجهـــاد

إن الحرص على الجهاد في سبـيل الله تعالى بالنفس والمال أو بأحدهما هو أحد الوسائل المهمة لإطالة العمر الإنتاجي ، ووسيلة عظيمة لكسب ثواب سنين طوال مقـابل ساعـات جهادية قليـلة . إن بذل النفس في سبـيل الله تعالى لا يقرب أجـلا ولا يقصر عـمراً ، ولكنه فريضـة ربانية ساميـة وامتحـان صعب للنفس لا يقدم عليه إلا من أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه .

كيف يكون للقتال في سبيل الله نصيب في إطالة العمر الإنتاجي ؟ استمع إلى هذه الطائفة من الأحاديث النبوية :

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل عنـد الله من عبادة رجل ستين سنة »[111] . فإن مجرد وقوف المسلم في الصف في سبيل الله ساعة من الزمن خير له من عبادته لله ستين سنة . فما بالك بمن جاهد أياما وشهوراً وتحمَّل في سبيل ذلك الأذى والصعاب .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : مـرَّ رجل من أصـحـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم بشعبْ فيه عُيينة من ماء عذبة فأعجبـته لطيبها ، فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فَذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا تفعل فإن مقام أحـدكم في سبيل الله أفضل من صلاته

(١١١) رواه الدارمي في كتاب الجهاد : باب فضل مقام الرجل في سبيل الله (٢/ ٢٦٦) ، وابن حبان والحـاكم واللفظ له في كتاب الجهاد (٦٨/ ٢) وقـال الذهبي في التلخيص على شرط البخـاري ، ورواه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٨) والأوسط ، وصـححه السيـوطي في الجامع الصـغير (٧٣٠٢) ، ووافـقه الألبـاني في صحـيح الجامع رقم (٥١٥١) .

في بيته سبعين عاما، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فَوَاق ناقة وجبت له الجنة »(١١٢).

إن الجهاد لا يعدله ثواب إلا من واصل الصلاة والصيام دون انقطاع حتى يرجع المجاهد إلى بلده ، ولا يستطيعه أحد . وذلك مصداق ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد . قال : « لا أجده ، قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد تدخل مسجداً فتقوم لا تفتر وتصوم لا تفطر ؟ « قال ومن يستطيع ذلك ؟ (١١٣) .

ألا تعلم أخي القارىء أنك إذا أمضيت من عمرك أربعاً وعشرين ساعة حراسة في سبيل الله ، فإن الله يكتب لك عوضا عنها كما إذا صمت شهراً وقمته ؟ روى سلمان الفارسي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه** ، ومن مات مرابطا جرى له مثل ذلك من الأجر وأجري عليه الرزق وأَمِنَ الفتّان » (١١٤) .

---

(١١٢) رواه أحمد ـ الفتح الرباني ـ كتاب الجهاد : باب فضل المجاهدين في سبيل الله (١٤/ ١٤) ، والترمذي واللفظ له في باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله وحسنه (٧/ ١٥٤) ، والبيهقي (٤/ ١٥) ، وصححه الحاكم (٢/ ٦٨) ، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٣٨٣٠) . ومعنى فواق ناقة أي مابين الحلبتين . وقال القاري في معنى قوله ﷺ « سبعين عاما » المراد به الكثرة لا التحديد فلا ينافي ما ورد أن رسول الله ﷺ قال : « مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة الرجل ستين سنة » رواه الحاكم عن عمران بن حصين وأبي هريرة أهـ [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٣)] .

(١١٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد والسير (٦/ ٦) ، ومسلم في كتاب الجهاد : باب فضل الشهادة في سبيل الله (١٣/ ٢٤) ، والنسائي واللفظ له في كتاب الجهاد : باب ما يعادل الجهاد في سبيل الله عز وجل (٦/ ١٩/ ح٣١٢٨) .

(١١٤) رواه مسلم في كتاب الامارة : باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل (١٣/ ٦١)، والنسائي واللفظ له في كتاب الجهاد : باب فضل الرباط (٦/ ٣٩/ ح٣١٦٧)) ، والحاكم (٢/ ٨٠) .

فهل تبيع يوما من عمرك بثلاثين يوما ؟

فَطِنَ عبد الله بن المبارك رحمه الله إلى أهمية الجهاد وعظم درجته عند الله، فلام من تقاعس عنه ، ومن قنع بسواه من فضائل الأعمال ؛ فقال قصيدته المشهورة(١١٥) :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعبُ
من كان يخضبُ جيدَه بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ
أو كان يُتعِبُ خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيبُ
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذبُ
لا يستوي وغبار خيل الله في	أنف امرء ودخان نار تلهبُ
هذا كتابُ الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يُكذَبُ

عندما سئل ابن تيمية رحمه الله تعالى هل الأفضل المجاورة بمكة أو بمسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى أو بثغر من الثغور لأجل الغزو ؟ فأجاب بقوله: الحمد لله رب العالمين ، المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة ، كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة ، بل قد اختلفوا في المجاورة: فكرهها أبو حنيفة واستحبها مالك وأحمد وغيرهما ، ولكن المرابطة عندهم أفضل من المجاورة ، وهذا متفق عليه بين السلف ، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه : « لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود » . وذلك أن الرباط من جنس الجهاد ، وجنس الجهاد مقدم على جنس الحج ، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قيل له أي العمل أفضل؟ قال: « الإيمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال جهاد في سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور » . وقد قال تعالى : ﴿ **أجعلتم سقايةَ الحاجِ**

(١١٥) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/٦٥٨) .

● قال يونس بن عبيد : ما ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون أفنيت عمري في الجهاد [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨/ ٥٠)] .

وعمارةَ المسجد الحرامِ كمن آمنَ بالله واليومِ الآخرِ وجاهدَ في سبيل الله لا يستوونَ عند الله والله لايهدي القوم الظالمين (١٩) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظمُ درجةً عندَ الله ﴾ إلى قوله ﴿ إن اللهَ عندهُ أجرٌ عظيم ﴾ [التوبة ١٩ ـ ٢١] (١١٦) .

إن بعض المسلمين لم يحرم نفسه من فضل الجهاد فحسب بل حرم غيره منه بتخذيله وإرجافه ، فإذا لم ترغب أخي المسلم أن تجاهد بنفسك فلا تحرم غيرك منه إذا رأيته عازماً على جهاد أعداء الله بنفسه أو بماله . وان كنت تخشى بارقة السيوف فلا يَفُتْك على الأقل أن تجاهد بمالك وأن تدعو غيرك إلى هذا الأمر اليسير . فإن الله جل وعلا قدَّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في قوله تبارك وتعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾**(١١٧) . فإياك أن تكون من المخذلين عن الجهاد فتذيق الأمة ذلا يكون في عنقك يوم القيامة. فمن لم يجاهد بنفسه أو بماله فليقل خيراً أو ليصمت .

وإذا كنت ممن وفقه الله تعالى للجهاد بنفسه أو بماله فهنيئاً لك على ذلك ، ويبقى أن تحرص كل الحرص على الحفاظ على هذا الثواب الكبير من أيٍ من الكبائر المحبطة للحسنات كالربا الذي انتشر انتشار النار في الهشيم . فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها سألتها امرأة فقالت : يا أم المؤمنين إني ابتعت غلاماً من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم نسيئة، وإني ابتعته (أي اشتريته) بستمائة درهم نقدتها . فقالت عائشة رضي الله عنها بئسما اشتريت وبئسما شريت ، إنَّ جهاده مع رسول الله ﷺ قد بطل إلا أن يتوب(١١٨) .

---

(١١٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٢٤) .

(١١٧) سورة الصف آية (٩ و ١٠) كما قدم ذلك في قوله عز وجل : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾** سورة الحجرات آية (١٥) .

(١١٨) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٤٣٨) ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩/ ٤٣٠) .

وعمارةَ المسجد الحرامِ كمن آمنَ بالله واليومِ الآخرِ وجاهدَ في سبيل الله لا يستوونَ عند الله والله لايهدي القوم الظالمين (١٩) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظمُ درجةً عندَ الله ﴾ إلى قوله ﴿ إن اللهَ عندهُ أجرٌ عظيم ﴾ [التوبة ١٩ ـ ٢١] (١١٦) .

إن بعض المسلمين لم يحرم نفسه من فضل الجهاد فحسب بل حرم غيره منه بتخذيله وإرجافه ، فإذا لم ترغب أخي المسلم أن تجاهد بنفسك فلا تحرم غيرك منه إذا رأيته عازماً على جهاد أعداء الله بنفسه أو بماله . وان كنت تخشى بارقة السيوف فلا يَفُتْك على الأقلِ أن تجاهد بمالك وأن تدعو غيرك إلى هذا الأمر اليسير . فإن الله جل وعلا قدَّم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في قوله تبارك وتعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾**(١١٧) . فإياك أن تكون من المخذلين عن الجهاد فتذيق الأمة ذلا يكون في عنقك يوم القيامة. فمن لم يجاهد بنفسه أو بماله فليقل خيراً أو ليصمت .

وإذا كنت ممن وفقه الله تعالى للجهاد بنفسه أو بماله فهنيئاً لك على ذلك ، ويبقى أن تحرص كل الحرص على الحفاظ على هذا الثواب الكبير من أيِ من الكبائر المحبطة للحسنات كالربا الذي انتشر انتشار النار في الهشيم . فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها سألتها امرأة فقالت : يا أم المؤمنين إني ابتعت غلاماً من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم نسيئة، وإني ابتعته (أي اشتريته) بستمائة درهم نقدتها . فقالت عائشة رضي الله عنها بئسما اشتريت وبئسما شريت ، إنَّ جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بطل إلا أن يتوب(١١٨) .

---

(١١٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٢٤) .

(١١٧) سورة الصف آية (٩ و ١٠) كما قدم ذلك في قوله عز وجل : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾** سورة الحجرات آية (١٥) .

(١١٨) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٤٣٨) ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩/ ٤٣٠) .

الفرع السابع

العمل الصالح في عشر ذي الحجة

لقد اعتاد بعض الناس أخذ إجازاتهم في أول أيام عشر ذي الحجة للاستمتاع في أحد الدول السياحية ، مفوتين على أنفسهم فرصة اغتنام الأجور المضاعفة في هذه الأيام المباركة التي أقسم الله بها في أول سورة الفجر.

وإذا كنت قد علمت بطرف يسير عن فضل الجهاد في الفقرة السابقة ، فاعلم أن العمل الصالح أياً كان نوعه في أيام عشر ذي الحجة قد يفوق ثواب الجهاد في بعض مراحله . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر ، فقالوا يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ولم يرجع من ذلك بشيء »[119]

(١١٩) رواه أحمد ـ الفتح الرباني ـ في أبواب العيدين باب الحث على الذكر والطاعة والتكبير للعيدين وفي أيام العشر وأيام التشريق (٦/١٦٦) ، ورواه البخاري في كتاب العيدين : باب فضل العمل في أيام التشريق (٢/ ٥٣٠) ، والترمذي واللفظ له في كتاب الصوم : باب ما جاء في العمل في أيام العشر (٣/ ٢٨٩) ، وأبو داود في كتاب الصوم : باب في صوم العشر (٧/ ١٠٣) .

ملاحظة : قد يطرأ إشكال في كيفية الجمع بين هذا الحديث والحديث المذكور سابقاً في الحاشية رقم (١١٣) المقتضي أن الجهاد لا يعدله شيء . فقد قال البنا في تعليقه على حديث « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غداً فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: ذكر الله عز وجل » . [رواه أحمد واللفظ له ـ الفتح الرباني ـ (١٤/١٩٨) ، والترمذي (١٢/ ٢٧٠) ، وابن ماجه (٢/ ٤١٧)، ومالك (١/ ٢١١) عن أبي الدرداء ، وصححه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٩/ ٥١٣)، والألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٢٠)]. =

= قال وقد استشكل بعض أهل العلم تفضيل الذكر على الجهاد مع ورود الأدلة الصحيحة أنه أفضل الأعمال . وقد أجاب العلماء بأجوبة كثيرة أظهرها : أن ماورد من الأحاديث المشتملة على تفضيل بعض الأعمال على بعض آخر ، وما ورد منها مما يدل على تفضيل البعض المفضل عليه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، فمن كان مطيقاً للجهاد وقوي الأثر فيه فأفضل أعماله الجهاد ، ومن كان كثير المال فأفضل أعماله الصدقة ، ومن كان غير متصف بأحد من الصفتين المذكورتين فأفضل أعماله الذكر والصلاة ونحو ذلك أ هـ (الفتح الرباني ١٤/١٩٨) ، وقال في موضع آخر : إن كل عمل يصحبه الذكر يكون أفضل من غيره العاري من الذكر أ هـ (المرجع السابق (١٤/ ٢٠٤) . وقد قال هذا القول الأخير ابن قيم الجوزية في كتابه الوابل الصيب (صفحة ١٥٢) .

قال الشيخ عبد الرحيم الهاشم : ويمكن حمل حديث الجهاد لا يعدله شيء على الجهاد الفرض وحديث تفضيل الذكر والعمل الصالح في عشر ذي الحجة على الجهاد المسنون ، لأنه مستغنى فيه عن هذا المجاهد والله أعلم أ هـ .

للاستزادة في ذلك يراجع فتح الباري لابن حجر أول أبواب الجهاد (٦/ ٥) وكتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل (١١/ ٢١٣) .

● ذكر ابن القيم كلاماً نفيساً في تباين أقوال العلماء في تعريف الميزان الصحيح لأفضلية العبادة على أربعة أقوال . ومال إلى ترجيح أحدها وهو القول الرابع منها فقال :

الصنف الرابع قالوا : إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته . فأفضل العبادات في وقت الجهاد : الجهاد ، وإن آل إلى ترك الأوراد ، من صلاة الليل وصيام النهار . بل وترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن .

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً : القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب ، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل .

والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار .

والأفضل في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل : الإقبال على تعليمه والاشتغال به .

والأفضل في أوقات الأذان : ترك ما هو فيه من ورد ، والاشتغال بإجابة المؤذن . =

= والأفضل فـي أوقات الصلوات الخمـس : الجد والنصح في إيقـاعها علـى أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت ، والخروج إلى الجامع وإن بعد كان أفضل .
والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المسـاعدة بالجاه أو البدن أو المال : الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته ، وإيثار ذلك على أورادك وخلواتك .
والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه ، حتى كأن الله تعالى يخـاطبك ، فتجـمع قلبك على فهمـه وتدبره ، والعزم على تنفيـذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه خطاب من السلطان على ذلك .
والأفضل في وقت الوقوف بعـرفة : الاجتهاد في التضرع والـدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك .
والأفضـــل في أيـــام عشر ذي الحـجـة : الإكثار من التعبد لا سيمـا التكبير والتهليل والتحميد فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.
والأفضل في العـشر الأخير من رمضـان : لزوم المسجد فيـه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم ، أي إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء .
والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته وحضور جنازته وتشييعه .
والأفضل في وقت نزول النوازل وأذاة الناس لك : أدا واجب الصـبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم ، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولايؤذونه .
وأفضل خلطتـهم في الخير . فهي خـير من اعتزالهم فـيه ، واعتزالهم في الشـر فهو أفضل من خلطتهم فيه . فإنْ علم أنَّه إذا خالطهم أزاله أو قللَّه فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم .
فالأفضـل في كـل وقت وحال : إيثار مـرضاة الله في ذلك الوقت والحال ، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه .
وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق. والأصناف قبلهم [ذكر المؤلف ثلاثة أصناف] أهل التعبد المقيد. فمتى خرج أحدهم على النوع الذي تعلق به من الـعبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته. فهو يعبـد الله على وجه واحد ، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل لا يزال متنقلاً في منازل العبودية. كلما رفعت له منزلة: عَمِلَ إلى سيره إليها ، واشتغل بها حتى تلـوح لـــه منزلة أخرى=

رمـضان لقـوله ﷺ : « أفضل أيام الدنيـا أيام العشـر »[120] قال ابن قـيم الجوزية رحمه الله تعالى في مقارنة له بين فضل عشر ذي الحجة والعشر الأخير من رمضـان قال : فالصواب فيـه أن يقال : ليالي العشر الأخيـر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة ، وأيام عشر ذي الحجـة أفضل من أيام عشر رمضـان . وبهذا التفـصيل يزول الاشـتباه ، ويدل عليـه أن ليالي العـشر من رمضان إنما فضلت باعتبار ليلة القدر ، وهي من الليالي ، وعشر ذي الحجة إنما فضل باعتبار أيامه ، إذ فيه يوم النحر ويوم عرفة ويوم الترويه أ هـ [121] .

إن مما ينبـغي أن يُعلم أن كل امـرىء منا يحـتـاج إلى مزيد مـن المقاومـة والمجاهدة للنفس والهـوى والشيطان في أيام عشر ذي الحـجة لاستغـلالها، إن كان جـاداً لاستغلال عـشر ذي الحجـة في العمل الصالح. فـلا غرابة أن نرى معظم الناس يسـتثمرون أوقـاتهم بقراءة القرآن والبـعد عن مواطن المعصـية في شهـر رمضان ؛ لأنَّ الشيـاطين فيه مسـلسلة، وأما في أيام عشر ذي الحـجة ، فيجب أن نعلم بأن الشياطين فيه لا تسلسل. لذلك نحتاج إلى هذه المجاهدة .

إن على الخطباء وأئمة المساجد والعاملين في الصحافة توعية الناس وتسليط

= فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سـيره . فإنْ رأيت العلماء رأيته معهم ، وإنْ رأيت العبـاد رأيته معـهم ، وإن رأيت المجاهدين رأيتـه معهم ، وإنْ رأيت الذاكـرين رأيته معهم ، وإنْ رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم .
فهذا هو التعبد المطلق الذي لا تملكه الرسوم ، ولم تقيده القيود ، ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذاتها وراحـتها من العبادات ، بل هو على مراد ربه ، ولو كانت راحة نفسه ولذاتها في سِواه . . . إلخ أ هـ [تهذيب مدارج السالكين (صفحة٧١)] .

(١٢٠) رواه البزار عن جـابر ﷺ ، وحسنه السـيوطي في الجـامع الصغـير (١٣٠١) ، ووافقـه المناوي في فيض القـدير (٢/ ٥١) ، وصحـحه الألبـاني في صحـيح الجامع (١١٣٣) وقال : ورواه البيهقي في شعب الإيمان .

(١٢١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (١/ ٥٧) .

الأضواء على مكانة عشر ذي الحجة ؛ لغفلة كثير من المسلمين عنها ، وجهلهم قدرها ومكانتها بل وثوابها ففاتهم أجر عظيم .

لذلك استحضر الأعمال الصالحة التي كنت تفعلها في رمضان ؛ كالصدقة وقراءة القرآن ، وقم بأدائها في هذه الأيام المباركة . كان سعيد بن جبير إذا دخل أيام العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يُقدر عليه (١٢٢) .

فمن الأعمال المستحبة في هذه العشر المباركة ما يلي :

(١) أداء الحج وهذا أفضل أعمالها .

(٢) الصيام وبالأخص يوم عرفة ـ لغير الحاج ـ فمن صامه كفرت عنه ذنوب سنتين .

(٣) صرف معظم الوقت في التهليل والتكبير والتحميد ؛ لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أيام أعظم عند الله ولا أحبُ إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر ، فأكثروا فيهنَّ من التهليل والتكبير والتحميد »(١٢٣) .

(٤) الأضحية .

(٥) تجنب تضييع الأوقات فيما لا ينفع .

فلا تدع ساعات هذه الأيام العشر المباركة تمر عليك وأنت في سياحة وغفلة عن طاعة الله ؛ لأنها أفضل أيام الدنيا ، فلا تحرم نفسك فيها من خصال الخير السابقة الذكر ، فقد لا تعود إليك أبداً .

---

(١٢٢) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٣٥٤) ، والدارمي (٢/ ٤١) .

(١٢٣) رواه الإمام أحمد واللفظ له ـ الفتح الرباني ـ أبواب العيدين باب الحث على الذكر والطاعة والتكبير للعيدين وفي أيام العشر وأيام التشريق (٦/ ١٦٨) . وقال البنّا في الفتح : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وابن أبي الدنيا وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسنده جيد أهـ .

الفرع الثامن

تكرار بعض سور القرآن

كم ستحتاج من الوقت لتختم القرآن ؟ لا شك أنك ستحتاج إلى أكثر من يوم . أما تعلم أنك بوقت قصير لا يتجاوز نصف دقيقة يمكنك أن تحصل على مثل ثواب ختم القرآن الكريم وتحصل على ملايين من الحسنات بتكرارك سورة الإخلاص ثلاث مرات فقط! (١٢٤). فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن»(١٢٥). وفي حديث آخر رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن» (١٢٦).

لعل كثيرين منا يعرفون ثواب سورة الإخلاص منذ الصغر ، وأنها تعدل ثلث القرآن في الأجر والمعنى لما تحويه من توحيد الله وتعظيمه وتقديسه، ولكن مَنْ منا

---

(١٢٤) للاستزادة انظر بسط الموضوع في صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٩٥) ومجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٢٠٦) ، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٦٣٦) ، والفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية لابن علان (٣/ ٢٨١) ، وتحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (٨/ ٢٠٦) ، والفتح الرباني للبنَّا (١٨/ ٣٣٨) ، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤/ ١٣) .

(١٢٥) رواه مالك في الموطأ في كتاب القرآن : باب ما جاء في قراءة قل هو الله أحد وتبارك الذي بيده الملك (١/ ٢٠٨) ، والبخاري واللفظ له في كتاب فضائل القرآن : باب فضل قل هو الله أحد (٨/ ٦٧٦) ، وأحمد ـ الفتح الرباني ـ أبواب التفسير : باب فضل سورة الإخلاص (١٨/ ٣٤٥) ، وأبو داود في كتاب الصلاة : باب في سورة الصمد (٤/ ٣٣٥)، والنسائي في الافتتاح : باب الفضل في قراءة قل هو الله أحد (٢/ ١٧١/ ح٩٩٤) .

(١٢٦) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٠٩)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٦١٣٣)، والألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٠٥). وليس معنى كونها تعدل في الفضل أنها تجزيء عنه . . فتنبه.

فكَّر منذ ذلك الزمن أن يكسب بهذه السورة العظيمة ثواب ختم القرآن في اليوم الواحد عشرات المرات ، في زمن لا يتجاوز بضع دقائق ؟ ليس الهدف أن تعرف هذه المعلومات فحسب ، ولكن الهدف الأسمى أن تعمل بها أيضا .

إنك خلال انتظار دورك عند الطبيب أو الحلاق أو ما شابهه ، أو حتى لكأس الماء أو الشاي الذي سيقدمه لك مضيفك أو زوجتك ، يمكنك أن تختم القرآن عدة ختمات ، دون أن يعلم بك أحد بتكرارك لسورة الإخلاص .

كثير من الناس يحرصون في رمضان أن يختموا القرآن عدة مرات ، فتراهم يسرعون في القراءة كقراءتهم للجريدة دون فهم ولا تدبر . فإن كنت من هذا الصنف وكان همك ختم القرآن عدة مرات ؛ لتنال أجراً كبيراً ، فأكثر من قراءة سورة الإخلاص في اليوم الواحد ، بدلا من تلك القراءة المخلة التي قد تأثم عليها، واجعل قراءتك للقرآن العظيم قراءة فهم وتأن وتدبر ؛ مستمسكا بقول الباري جَلَّ وعلا : ﴿ **وقرآنا فَرقناه لتقرأهُ على الناسِ على مُكْث ونزَّلناهُ تنزيلاً** ﴾ (١٢٧) . ولقوله تبارك وتعالى : ﴿ **كتابٌ أنزلناه إليك مبارَكٌ ليدَّبروا آياته وَليتَذكرَ أولوا الألباب** ﴾ (١٢٨) . وآخذا بوصية القارىء المشهور ابن مسعود ﷺ حيث قال « لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذُّوه هذَّ الشعْر، قفوا عند عجائبه وحرِّكوا به القلوب ، ولا يكن همُّ أحدكم آخرَ السورة » (١٢٩) ومقتدياً بحَبْرِ الأمة ابن عباس ﷺ حينما قال « لأن أقرأ سورة أرتلها ، أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله » (١٣٠) .

(١٢٧) سورة الإسراء آية (١٠٦) .

(١٢٨) سورة ص آية (٢٩) .

(١٢٩) أخلاق حملة القرآن للآجري (صفحة ١١٢) .

(١٣٠) شعب الإيمان للبيهقي (٢/٣٩١) ، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي (صفحة ٧٠) .

● يوجد بحث لطيف في المفاضلة بين الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرة القراءة لابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد (١/٣٣٧) فارجع اليه .

أخبر بذلك الأُميِّين من الناس الذين يتمنون أن يختموا القرآن ، فأرشدهم إلى هذه السورة العظيمة فليقرأوها في اليوم عشرات المرات ؛ لينالوا بها ثواب عدة ختمات من القرآن . فإنهم سيجدون في صحائفهم إن شاء الله يوم القيامة ثواب آلاف الختمات ، حتى ليخيل للناظر إلى صحائفهم أنهم عمروا في الدنيا مئات السنين لختم هذا العدد من المرات للقرآن .

روى أبو غالب رحمه الله تعالى أنه قال : كان ابن عمر ﷺ ينزل علينا بمكة ، فكان يتهجد من الليل ، فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح : يا أبا غالب ألا تقوم فتصلي وتقرأ بثلث القرآن ؟ فقلت : وقد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن ؟ فقال : إن سورة الإخلاص ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن(١٣١) .

ثم اعلم أن تكرارك لهذه السورة وحبك لها يدخلك الجنة إن شاء الله ؛ كما حصل ذلك لأحد صحابة رسول الله ﷺ . روى أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ قال : « إن حُبك إياها يدخلك الجنة »(١٣٢) .

فيا أخي القارىء الكريم لا تحرم نفسك من هذا الخير العظيم وبادر به الآن قبل الانتقال عنه إلى الفقرة التالية .

---

(١٣١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (١/ ٣٠٤) .

(١٣٢) رواه الترمذي في أبواب فضائل القرآن : باب ما جاء في سورة الإخلاص وقال حديث حسن غريب صحيح (١١/ ٢٧) ، وصححه الأرنؤوط في جامع الأصول (٨/ ٤٨٩) ، ووافقه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٢٣) .

التسبيح في هذه المدة الطويلة ، ويستفاد منه كذلك أن من قال سبحان الله عدد كذا وزنه كذا كتب له ذلك القدر وفضل الله واسع ، ولا يتجه ها هنا أن يقال أن مشقة من قال هكذا أخف من مشقة من كرر لفظ الذكر حتى يبلغ إلى مثل ذلك العدد ، فإن هذا باب منحه رسول الله ﷺ لعباد الله وأرشدهم ودلهم عليه تخفيفاً عليهم وتكثيراً لأجورهم من دون تعب ولا نصب فلله الحمد » أ هـ (١٣٤) .

أخي القارىء لو أجهدت نفسك في التسبيح المتواصل طوال اليوم ، فلن تبلغ مئات الآلاف من المرات ، فضلا على ملايين المرات ، مع ما سيفوتك من المصالح الأخرى ، ولكن جاء فضل الله على هذه الأمة ليدلنا على كلمات قصيرة جامعة يكتب الله بها ثوابا لا يحصيه العاد . تخيل عدد خلق الله في هذا الكون ، وتخيل ضخامة هذا الرقم الفلكي الذي يحوي بلايين من كل من الملائكة والإنس والجن والنجوم والبهائم والطيور والأسماك والحشرات والنباتات والرمال والميكروبات وغيرهم كثير . فهؤلاء لا يمكن أن يحصيهم بشر ولكن الله يعطيك بعددهم حسنات ، إذا قلت ثلاث مرات سبحان الله وبحمده عدد خلقه .

ما مقدار حجم عرش الرحمن الذي ستحظى بوزنه حسنات إن شاء الله ؟ ذاك أمر لا يمكن تخيله. قال ابن زيد : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس » (١٣٥) . فإذا كانت المسافة بين بعض النجوم تُقدَّر بالسنوات الضوئية وكل ذلك في السماء الدنيا . والمسافة بين السماء الأولى والسماء الثانية مسيرة

---

(١٣٤) الفتح الرباني (١٤/ ٢٢٤) .

(١٣٥) رواه ابن جرير وابن أبي شيبة والبيهقي مرفوعاً عن أبي ذر ﷺ ، فتح المجيد تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ص (٦٢١) .

خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء مثل ذلك حتى السماء السابعة ثم يأتي بعد ذلك الكرسي والمسافة بينه وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام ، ونسبة السموات السبع له كنسبة سبع دراهم ألقيت في ترس ، وقد وصف الله تبارك وتعالى سعة كرسية فقال جل وعلا ﴿ وَسِعَ كُرسية السموات والأرض﴾[١٣٦] ثم يأتي بعد ذلك الماء ثم عرش الرحمن جلا وعلا وهو أعظم مخلوقات الله[١٣٧] ، ونسبته إلى الكرسي كنسبة قطعة حديد ألقيت في صحراء . فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»[١٣٨] . والله سبحانه وتعالى بعظمته وجلاله أكبر من كل شيء . فبعد هذا التفكر في عظمة مخلوقات الله وبالأخص عرش الرحمن فإن لك أخي المسلم بوزن هذا العرش العظيم حسنات متى قلت ثلاث مرات سبحان الله وبحمده زنة عرشه .

هل ستفارق مثل هذا التسبيح الجامع ؟ وهل ستفارق هذه الحسنات الهائلة؟ . أليس تسبيحك بمثل هذه العبارات وتكرارك لها خير لك من أن تردد كلمات أغنية أو لهو أو فجور ولا تكسب من ورائها شيئا من الحسنات ؟ بل تكسب إثماً . لقد أعطانا الرسول ﷺ أصنافا من التسبيحات فلماذا لا

---

(١٣٦) سورة البقرة آية (٢٥٥) .

(١٣٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً أنه قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم » . { أخرجه ابن مهدي والمسعودي وقال الحافظ الذهبي: وله طرق ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تحقيق الأرنؤوط صفحة(٦٢١)، وحسن اسناده الدكتور عبد العزيز الشهوان في تحقيقه لكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ، ج١ حديث رقم (١٤٩) ، ج٢ حديث رقم (٥٩٤) } .

(١٣٨) رواه ابن جرير وابن أبي شيبة والبيهقي مرفوعاً عن أبي ذر ، فتح المجيد تحقيق عبد القادر الأرنؤوط (صفحة٦٢١)، والعقيدة الطحاوية تحقيق الألباني (صفحة٣١٢).

نرطب ألسنتنا بها ؟

إضافة لذلك الأجر ، فإن من فوائد هذا الحديث العظيم أنه يعينك على التفكر في عظم مخلوقات الله وحقارة ابن آدم أمامها ومن ثم التفكر في عظمة الله الذي خلق هذا الخلق المتناسق . فلا غرابة أن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نُكبِّره في الأذان وفي داخل الصلاة ودبرها أكثر من مائتين وثمانين مرة في اليوم والليلة حتى لا يعظم في نفوسنا غيره، ولئلا نطلب النصرة إلا منه جلَّ وعلا .

إننا نجد طائفة من الناس يتفكرون في قدرة البشر وما وصلوا إليه من تقنية، أكثر من تفكرهم في عظمة الله جل جلاله . فبعض الناس إذا رأوا جهاز حاسب آلي (كمبيوتر) ذا سرعة فائقة ودقة متناهية وصغر حجم ، قالوا وهم يهزون رؤوسهم عجباً : هذه صناعة دولة كذا فإنها لا تدخل في صناعة شيء إلا أتقنته . وبعضهم يقول : إذا نويت أن تشتري سلعة فابحث عن سلعة دولة كذا . لماذا هذه الثقة العمياء ؟ لأنهم أيقنوا بجودة صناعاتها . وفي مقابل ذلك لا نجد التفكر في حكمة الله ولا اليقين بأنه الحكيم الخبير وأنه لا يأتي بشيء إلا وهو متقنه ، لأنه أتقن كل شيء خَلَقه . كما قال تبارك وتعالى عن نفسه ﴿ صُنْعَ اللهِ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شيءٍ إنه خبيرٌ بما تفعلون ﴾ (١٣٩)، ولا يأمر بشيء إلا وهو خبير بمصلحتنا فيه سواء كان تشريعا سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا أو نحوه . فإلى متى ننزع الثقة من تشريع الله ونضع الثقة في قوانين البشر مع أنهم لا يعلمون من الحياة إلا الظاهر منها ، ويخفى عليهم فيها كثير؛ لقوله تبارك وتعالى: ﴿ يعلمون ظاهراً مِنَ الحياةِ الدنيا ﴾ (١٤٠) .

الحديث الثاني :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : رآني النبي ﷺ وأنا أحرك شفتي ، فقال :

---

(١٣٩) سورة النمل آية (٨٨) .

(١٤٠) سورة الروم آية (٧) .

«ما تقول يا أبا أمامة ؟ قلت : أذكر الله . قال أفلا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار ؟ تقول : الحمد لله عدد ما خلق ، والحمد لله ملءَ ما خلق ، والحمد لله عدد ما في السموات والأرض ، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه ، والحمد لله مِلءَ ما أحصى كتابه ، والحمد لله عدد كلِّ شيء ، والحمد لله ملءَ كلِّ شيء ، وتسبح الله مثلهن » ثم قال : « تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك »[141] .

أَدَعُ لك هذا الحديث دون تعليق كي تحسب بنفسك وتتصور مقدار الثواب الذي يمكن أن تكسبه منه أكثر من إمضائك لليل مع النهار في ذكر الله لعلك بعد ذلك تتعلمه وتعلمه عَقِبك من بعدك استجابةً لأمر نبيك محمد ﷺ !!!

النوع الثاني : الاستغفار المضاعف

أخي القارىء هل ترغب في أن تكسب في اليوم الواحد على الأقل ألف مليون حسنة ؟ فكيف لو كسبت هذا العدد وأكثر منه في جلسة واحدة بل في جملة واحدة ؟ وما رأيك لو كررت ذلك أكثر من مرة ؟ فكم تتوقع أن يرتفع رصيدك من الحسنات ؟ فلنقف عند هذه المسابقة والتجارة الرابحة فإني لا أظنك ستفرط فيها ، ولن تمر عليها مرور الكرام دون أن تنهل منها أو تتاجر فيها مع ربك .

---

(١٤١) رواه الطبراني في الكبير واللفظ له (٧٩٣٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٤) رواه الطبراني والبزار وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة ولكنه اختلط وأبو إسرائيل الملائي حسن الحديث وبقية رجالهما رجال الصحيح أ هـ ، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤٠) عن ابن أبي الدنيا وقال : رواه أحمد وابن أبي الدنيا واللفظ له والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما باختصار والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ورواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن أ هـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦١٥) .

فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات ، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » (١٤٢).

لعل بصرك وذهنك ينصرف في بادىء الأمر إلى كلمة « حسنة » فتستصغر الحسنات التي ستكسبها من هذا الدعاء ، ولكن لا تحجر ذهنك وانظر بعين أوسع من ذلك . فمن المعلوم أن عدد المسلمين اليوم في العالم يتجاوز الألف مليون مسلم ، ولو افترضنا أن عدد المؤمنين منهم ألف مليون موحد ، فإن دعاءك واستغفارك لهم كفيل أن يعطيك الله بعددهم حسنات . لو ظللت طوال حياتك تسبح الله لما استطعت أن تصل إلى هذا الرقم من الحسنات ، لولا أن رسول الله ﷺ أرشدنا إلى الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات ؛ لننال بهذه العبارة القصيرة الجامعة ما لم نحلم به من حسنات في أقصر وقت ممكن . فكيف لو قلت هذا الدعاء في اليوم أكثر من مرة أو جعلته مع كل دعاء لك ؟ وكم تتوقع أن تزداد حسناتك لو أشركت أموات المؤمنين في الدعاء ؟ فأتوقع أن تكون مليونيراً إن شاء الله ليس من الريالات أو الدولارات وإنما من الحسنات .

إن هذا الحديث يعطينا دروسا كثيرة وأهمها :

(١) عمق رابطة الأخوة الإيمانية بين المسلمين. فالإسلام يحث كل المسلمين أن يدعو بعضهم لبعض في ظهر الغيب ؛ الأمر الذي قد لا نجده في دين آخر، ومتى استشعر المسلم ذلك ، زالت الأحقاد التي يثيرها الشيطان في النفوس بين آونة وأخرى ، إذ كيف يعقل أن يحقد المسلم على أخيه وهو يستغفر له في ظهر الغيب ؟

(٢) إن الذي يحتجز الدعاء لنفسه ولا يذكر إلا ذاته ، ويتناسى إخوانه

(١٤٢) رواه الطبراني ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد اسناده جيد (١٠/ ٢١٠) ، ووافقه المناوي في فيض القدير (٦/ ٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٢٦).

المسلمين، إنسان أناني قد حرم نفسه من كثير من الخير والحسنات .

(٣) من دعا لأخيه بظهر الغيب ، ضَمِنَ الإجابة من الله تعالى بإذن الله لما رواه صفوان ﷺ قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت أتريد الحج العامَ ؟ فقلت نعم . قالت فادع الله لنا بخير فإن النبي ﷺ كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل »(١٤٣) . فحري بك أخي المسلم أن تشرك إخوانك المسلمين في دعائك ؛ لتكسب من ثمرات ذلك شيئاً كثيراً .

إن كنت كيِّساً فطنا وأردت أن تستجاب دعوتك فلا تدعُ لنفسك فحسب ، وإنما وجِّه هذا الدعاء لأحد أصدقائك وادع له في ظهر الغيب ؛ كي يُؤمِّن أحد ملائكة الله عليه فلعل دعوتك تستجاب وتفوز بخيري الدنيا والآخرة .

روت أم الدرداء ﷺ قالت : كان لأبي الدرداء ستون وثلاثمائة خليل في الله . يدعو لهم في الصلاة ، فقلت له في ذلك ، فقال : إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب إلا وكَّل الله به ملكين يقولان : ولك بمثل . أفلا أرغبُ أن تدعوَ لي الملائكة ؟ »(١٤٤) .

وروت أيضاً ﷺ أنها قالت : بات أبو الدرداء الليلة يصلي فجعل يبكي ويقول اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي حتى أصبح . فقلت يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق ؟ قال : يا أم الدرداء إنَّ العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حُسن خلقه الجنة ، ويسوء خلقه حتى يدخله سوء

---

(١٤٣) رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار : باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (١٧/ ٥٠) .

(١٤٤) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١/ ١٦١) .

خلقه النار ، وإن العبد المسلم ليغفر له وهو نائم . قال : قلت وكيف ذاك يا أبا الدرداء ؟ قال : يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله فيستجيب له ويدعو لأخيه فيستجيب له »[145] .

وكان لحمدون الدلاَّل صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة . فتركهم ليلة فنام ، فقيل له في نومه : يا أبا حمدون لم تُسرج مصابيحك الليلة ؟ فقعد وأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لواحدٍ واحد حتى فرغ »[146] .

فهل ستتذكر أرحامك وأساتذتك وأصدقاءك فتدعو لهم ؟

---

(١٤٥) الزهد لأحمد بن حنبل صفحة (١٤٠) .

(١٤٦) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٥٥٣) .

الفرع العاشر

قضـــاء حوائج النـــاس

إن بعض الناس يتأفف من لجوء الناس إليه لقضاء حوائجهم خاصة إذا كان ذا وجاهة أو سعة من المال . ولا يدري أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجـته ، وأن الله في عون العبـد ما دام العبـد في عون أخيـه . فلئن تقضي لأخيك حاجة كأنْ تُعلِّمه، أو تُرشـده، أو تحمله، أو تُقرضه ، أو تَشفع له في خير، أفضل عند الله من ثواب اعتكافك شهراً كاملاً .

فعن عـبد الله بن عمـر ﵄ أن رسـول الله ﷺ قـال : «أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عـنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، **ولأن أمشي مع أخي المسلم في حـاجة أحب إليَّ من أن اعتكف فـي المسجد شـهراً** ، ومن كفَّ غضبـه ستر الله عورته ، ومن كظـم غيظاً ، ولو شاء أن يمضيـه أمضاه ، ملأ الله قلبـه رضاً يوم القيـامة ، ومن مشى مع أخيـه المسلم في حاجتـه حتى يثـبتـها له ، أثبت الله تعـالى قدمـه يـــوم تزل الأقـدام ، وإن ســوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل » (١٤٧) .

إن مجرد أن تقضي لأخيك حاجة قد لا يستغرق أداؤها أحيانا نصف ساعة فإنه يسجل لك بها ثواب اعتكاف شهر واحـد ؛ فتخيل لو أردت اعتكاف شهر كامل كم ستحتاج من مجاهدة للنفس بتعطيل أعمالك الخاصة ، وبقائك حبيس

---

(١٤٧) رواه والطبـراني في الكبـيـر (١٢/٣٤٦)، وابن أبي الدنيـا وحـسنه الألبـاني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٠٦)، وفي صـحيح الجامع (١٧٦) . وأما ماروُي عن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قال : « من مشى في حـاجة أخيه كان خيراً له من اعتكافه عشر سنين » فرواية ضعيفة رواها الطبراني في الأوسط .

المسجد ثلاثين يوما إما ذاكراً لله أو ساجداً أو قارئاً للقرآن ؟ ولكن خلال دقائق معدودة تنجز فيها لأخيك حاجته أو تسعى فيها لأرملة (١٤٨) . يسجل في صحيفتك كأنك اعتكفت سنوات عديدة . فكم سَنَة لم تحيها في الواقع سيسجل لك ثوابها إذا سخرّت جزءا من وقتك لخدمة إخوانك المسلمين ؟

إن الموظف الذي يقابل الجمهور وهو على مكتبه ليخدمهم وينجز لهم معاملاتهم ، لو استحضر هذا الحديث واحتسب عمله ، فكم من السنوات سيسجل له ثواب اعتكافها ياترى ؟ إن بعض هؤلاء الموظفين تجدهم يشغلون أنفسهم عن المراجعين بأحاديث جانبية مع زملائهم في الوظيفة أو يتغيبون عن مكاتبهم ، وبعضهم يتعمد تعطيل المراجعين وتأخير معاملاتهم ، ولو علم بهذه الأحاديث النبوية وأمثالِها لَمَا بدرت منه هذه التصرفات .

فاحرص أخي القارىء على قضاء حوائج إخوانك المسلمين ، ولا سيما مَنْ تصيبهم جوائح الحروب والكوارث ، ولا تدعهم عرضة لفتن المنظمات المعادية للإسلام كالصليبية التي تتسابق فيما بينها على تقديم المساعدات الإنسانية لأولئك المنكوبين ؛ وذلك لتكسب ودهم وتستدرجهم إلى دينها ؛ تحت وطأة الجوع والمرض والحاجة ، وعليك أن تتعلم حسن مساعدة الناس وقضاء حوائجهم ، وليس فن التفلت من ذلك . واعلم أنه كلما كانت العبادة يتعدى

---

(١٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار » . [رواه البخاري واللفظ له في كتاب النفقات : باب فضل النفقة على الأهل (٩/ ٤٠٧) ، ومسلم في كتاب الزهد : باب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (١٨/ ١١٢) ، والإمام أحمد ـ الفتح الرباني ـــ كتاب البر والصلة : باب في كفالة اليتيم والإحسان إليه (١٩/ ٥٥) ، والترمذي في أبواب البر والصلة : باب ما جاء في السعي على الأرملة (٨/ ١٤٦) ، والنسائي في كتاب الزكاة : باب فضل السعي على الأرملة (٥/ ٨٧/ ح٢٥٧٦)] .

نفعها إلى غيرك كان أجرها أعظم إذا احتسبتها عند الله .

أمثلة من السلف في حرصهم على قضاء حوائج الناس :

إن حياة الصالحين مليئة بالقصص في حرصهم على خدمة إخوانهم . وما سُطِّر في الكتب ليس إلا نزر يسير عَلِمه بعض الناس ، وما خفي في هذا المضمار كان أعظم لحرص السلف على إخفاء أعمالهم .

- كان أبو بكر الصديق ﷺ يحلب للحي أغنامهم ، فلما استُخلف قالت جارية منهم : الآن لا يحلبها . فقال أبو بكر : بلى ، وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلتُ فيه عن شيء كنت أفعله [149] .
- وكان عمر بن الخطاب ﷺ يتعاهد بعض الأرامل فيستقي لهن الماء بالليل. ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة . فدخل إليها طلحة نهاراً . فإذا عجوز عمياء مقعدة . فسألها : ما يصنع هذا الرجل عندك ؟ قالت: هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني ، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، عثرات عمر تتبع؟[150] .
- وكان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهم كل يوم ، فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن [151] .
- وقال مجاهد : صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني أكثر[152] .

---

(١٤٩) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٥) .

(١٥٠) المصدر السابق (٢/ ٢٩٥) .

(١٥١) المصدر السابق (٢/ ٢٩٥) .

(١٥٢) المصدر السابق (٢/ ٢٩٥) ، وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٢٤٢) ، والزهد لأحمد بن حنبل (صفحة ١٩٣) .

• ولما مات علي بن الحسين رضي الله عنه وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقل الجُرَبَ بالليل إلى منازل الأرامل (١٥٣) .

• وكان زبيد بن الحارث إذا كانت الليلة مطيرة ، أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أو كَفَّ عليكم بيت ؟ أتريدون ناراً ؟ فإذا أصبح طاف على عجائز الحي فقال: ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئا ؟(١٥٤) .

• وكان حكيم بن حزام يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجاً ليقضي له حاجته . فيقول : ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة ، إلا علمتُ أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها (١٥٥) .

• وقال سهل بن بشر رحمه الله تعالى : مرَّ بي إبراهيم بن أدهم وأنا أكسر عود حطب قد أعياني ، فقال لي : يا محمد قد أعياك ؟ قلت : نعم ! قال : فتأمر لنا به ؟ قلت : نعم ! قال وتعيرنا الفأس ؟ قلت : نعم ! قال : فأخذ العود ووضعه على رقبته وأخذ الفأس ومضى ، فبينا أنا على ذلك إذا أنا بالباب قد فتح ، والحطب يطرح في الباب مكسراً وألقى الفأس وأغلق الباب ومضى، قال: وكان إبراهيم إذا صلى العشاء وقف بين يدي الدور فنادى بأعلى صوته : من يريد يطحن ؟ فكانت المرأة تخرج القفة والشيخ الكبير ، فينصب الرحى بين رجليه ، فلا ينام حتى يطحن بلا كراء(١٥٦) .

---

(١٥٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦) .
(١٥٤) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٥٨) ، ونزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩٣) ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٥/ ٣١) .
(١٥٥) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٩) .
(١٥٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٣٧٢) .

أخي القارىء الكريم إنني على يقين بأنك ممن يحرص ويبادر لخدمة الآخرين . ولكن شتان بين من يفعل ذلك احتساباً ، وبين من يفعله مجاملة ، أو يطلب مدحاً ، أو ثواباً معجلاً . فعوِّد نفسك على أن لا تنتظر على شفاعتك وخدمتك لإخوانك أيَّ مثوبة مادية أو معنوية من أحد غير الله جل وعلا ؛ لئلا يذهب عنك أجر عظيم قد عرفت الآن جزءاً منه .

- عندما كلَّم عقبة بن عمرو لرجل في حاجة ، رجع إلى أهله فرأى هدية. قال الراوي : أظنه قال بطاً ودجاجاً . فقال : ما هذا ؟ فقالوا: أرسل به الرجل الذي كلمت له . فقال : أخرجوه ، آخذ أجر شفاعتي في الدنيا(١٥٧) !!

- وقضى ابن شبرمة رحمه الله حاجة كبيرة لبعض إخوانه ، فجاء يكافئه بهدية . فقال : ما هذا ؟ قال : لما أسديته إليّ . فقال : خذ مالك عافاك الله . إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها ، فتوضأ للصلاة وكبِّر عليه أربع تكبيرات وعُدَّه من الموتى (١٥٨) .

وإذا علمت أخي القارىء أن هذا الثواب العظيم كله لمن خدم أخاه المسلم وهو له سُنة فاضلة . فكيف بمن يكون في خدمة والديه وفي قضاء حوائجهما، وهو أمر واجب عليه ؟

إننا نسمع ونرى كثيراً من الناس يسعدون ويتشرفون ــ على حد زعمهم ــ بخدمة أصدقائهم بل بخدمة عامة الناس ، ولكنهم يتذمَّرون ويتأففون من خدمة والديهم أو أرحامهم ، وترى أحدهم يداخله الضجر طوال يومه إن كان أحد

---

(١٥٧) الزهد لأحمد بن حنبل (صفحة ١٨٨) .

(١٥٨) إحياء علوم الدين (٢/ ١٩٥) بتصرف .

والديه قد كلَّفه بخدمة أو أداء مهمة . فلا شك أن هذا عقوق عاقبته وخيمة في الدنيا قبل الآخرة تتمثل في تعجيل العقوبة وإنقاص العمر . روى أبو بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ذنبٍ أجدرَ أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدَّخر له في الآخرة : مثلُ البغي ، وقطيعة الرحم »(١٥٩) .

---

(١٥٩) رواه الترمذي واللفظ له في صفة القيامة باب رقم (٥٨) وقال هذا حديث حسن صحيح (٩/ ٣١٦) ، ورواه أبو داود في الأدب باب النهي عن البغي (١٣/ ٢٤٤) ، وصححه الأرنؤوط في تخريجه لشرح السنة للبغوي (١٣/ ٢٦) ، والألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٠٣٩) .

المبحث الثالث

إطالة العمر بالأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات

ويضم أربعة فروع :

الفـــرع الأول : الموت في الرباط .

الفـــرع الثاني : الصدقة الجارية .

الفـــرع الثالث : تربية الولد على الصلاح .

الفـــرع الرابـع : التعليم .

المبحث الثالث

إطالة العمر بالأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات

إن ما سبق ذكره من أعمال على الرغم من عظيم ثوابها ، إلا أن هذا الثواب سينقطع بمجرد موت صاحبها ، فلا يمكنه أن يعمل بهذه الفضائل والسنن، لأنه سيتوقف عن الصلاة والجهاد وقراءة القرآن والتسبيح وطلب العلم وقضاء حوائج الناس ونحو ذلك من الطاعات ، وحيث إننا نطمع أن يكون لنا عمرٌ إنتاجيٌ أكبر مما سبق ذكره ، وحسنات يجري لنا ثوابها بعد مماتنا إن شاء الله، كان لزاما التعرف على الأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات لنسارع في تطبيقها قبل حلول الأجل ، ولأنه على المدى البعيد قد يكون بعضها أكثر ثواباً مما كان قبل الممات مما سبق ذكره في المبحث الثاني .

إن من عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة القصيرة آجالها أن دلها على أعمال يستمر ثوابها إلى ما بعد الممات ، تتلخص في الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : رجل مات مرابطاً في سبيل الله ، ورجل علَّم علما فأجره يجري عليه ما عُمِلَ به ، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجري عليه ما جَرَتْ عليه ، (أي مدة بقائها جارية) ، ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له » (١٦٠) . فاحرص أخي المسلم

---

(١٦٠) رواه أحمد واللفظ له ــ الفتح الرباني ــ أبواب صدقة التطوع : باب ما جاء في الصدقة الجارية (٩/ ٢٠٤) وقال البنا في الفتح : رواه الطبراني وفي إسناده ابن لهيعة ورجل لم يسم لكن حسنه الحافظ السيوطي ويعضده حديث أبي هريرة « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث. . . الحديث » أهـ (٩/ ٢٠٥) ، وقال المناوي في فيض القدير: قال المنذري هو صحيح من حديث غير واحد من الصحابة أهـ (١/ ٤٧١) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٧٧) .

بالعمل بأي من هذه الأعمال حتى لا تنقطع حسناتك بانقضاء أجلك .

فمن هذا الحديث الجامع يمكن تقسيم الأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات إلى أربعة فروع هي كالتالي :

الفرع الأول
الموت في الرباط

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه ، **ومن مات مرابطا جرى له مثل ذلك من الأجر وأجري عليه الرزق وأمِنَ الفتَّان** » (١٦١) . قال الصديقي في تعريف الرباط: هو ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم . وقال العيني : الرباط هو المرابطة وهي ملازمة ثغر الحدود . قال ابن قتيبة : أصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم في الثغر كل يعد لصاحبه. واشترط ابن التين أن يكون غير وطنه ، ونقله عن ابن حبيب عن مالك . ونظر فيه العيني بأنه قد يكون بوطنه ، وينوي بالإقامة فيه دفع العدو، ويقال الرباط المرابطة في نحور العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين أ هـ (١٦٢) .

انظر أخي القارىء كيف أن مرابطة لفترة أربع وعشرين ساعة فقط يسجل لمن فعل ذلك كمن قام شهراً وصامه . وتأمل أخي القارىء من جاهد من الصحابة ومات مرابطا ؛ فكم من الأجر كتب له منذ أن قتل قبل أربعة عشر قرنا حتى وقتنا هذا إلى قيام الساعة ؛ وهو يكتب له عن كل يوم ؛ ثواب من صام وقام شهراً كاملاً . فكم من الحسنات سيجد هذا المجاهد في صحيفته يوم

---

(١٦١) سبق تخريجه في حاشيه رقم (١١٤) .
(١٦٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤/ ٩٣) .

القيامة ياترى ؟ وكم شهرا سيسجل له في صحيفته كأنه عاشها مطيعا لله فيها ؟ ألا تعلم بأن من مات مرابطا من الصحابة قد سجل له بإذن الله ثواب من صام وقام قرابة اثـنين وأربعين ألف سنة إلى بداية هذا القرن ؟ (٣٠ X ١٤٠٠ سنة = ٤٢٠٠٠ سنة) .

وإذا أردت المزيد عن فضائل المرابطة فتعال نتـجول معا لنقرأ بعض ما بَشَّر به المصطـفى ﷺ المرابطين لعلـك تكون منهم ولو بـصـرف بعض زكـاتك وصدقاتك لهم .

فعن فَضَـالَة بن عبيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قـال : « كل ميت يختم على عمله إلا الـذي مات مرابطا في سـبيل الله ، فإنه يُنمَّى لـه عمله إلى يوم القيامة ، ويأمنُ من فتنة القبر »(١٦٣) .

قال المناوي في فـيض القدير : الثواب المتـرتب على رباط اليوم والليلة يجري له دائماً ولا يعارضـه حديث « إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث » إما لأنه لا مفهوم للعـدد في الثلاث وإما يرجع هذا إلى إحدى الثلاث هنا وهو صدقة جارية أ هـ (١٦٤) .

وعن العـرباض بن سارية رضي الله عنه أنَّ رسـول الله ﷺ قال : « كل عـمل منقطع عن صاحـبه إذا مات ، إلا المرابط في سـبيل الله فإنه يُـنمَّى له عمله ، ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة »(١٦٥) .

---

(١٦٣) رواه أبو داود في الجهاد : باب في فـضل الرباط (٧/ ١٧٧) ، والترمذي واللفظ له في فضـائل الجهـاد : باب ما جـاء في فضل من مـات مرابطاً ، وقـال : حديث فَضَالَة حديثٌ حـسن صحيح (٧/ ١٢٣) ، وصححه السيوطي في الجـامع الصغير (٦٣٥٧) ، والألباني في صحيح الجامع رقم (٤٥٦٢) .

(١٦٤) فيض القدير للمناوي (٥/ ٣٤) .

(١٦٥) رواه الطبـراني في الكبيـر (١٨/ ٢٥٦) ، وحسنـه السيـوطي في الجامع الصـغيـر (٦٣٣٢) ، ووافقـه المناوي في فيض القـدير وقال : قال الهـيثمـي رواه الطبراني باسنادين ورجـال أحدهما ثقـات أهـ (٥/ ٢٧) ، وصححـه الألباني في صـحيح الجامع رقم (٤٥٣٩) .

وعن أبي هريرة ﷺ أنه كان في المرابطة ففرغوا إلى الساحل ، ثم قيل لا بأس فانصرف الناس وأبو هريرة واقف ، فمر به إنسان فقال ما يوقفك يا أبا هريرة ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » (١٦٦) .

تفكر كم مقدار ثواب ليلة القدر التي تَفْضُل قيام ألف شهر فيما سواه ثم تأمل أن ذلك في البيت الحرام الذي تتضاعف فيه الصلوات إلى مائة ألف صلاة. فهل تستطيع الآن أن تحسب مقدار ثوابك لو رابطت يوماً في سبيل الله؟

لعلك لاحظت بأن الوحيد الذي ينمو له عمله بعد موته هو المرابط في سبيل الله فهل تشارك في هذا المجال العظيم الذي كان يتسابق إليه السلف ويُصبِّر بعضهم بعضاً عليه .

مر سلمان الفارسي ﷺ بشرحبيل بن السِّمْط وهو في مُرَابَطٍ له وقد شق عليه وعلى أصحابه قال : ألا أحدثك ياابن السِّمْط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال بلى : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم في سبيل الله أفضل وربما قال : خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات فيه وُقِيَ فتنة القبر ونُمِّيَ عمله إلى يوم القيامة »(١٦٧) .

---

(١٦٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان باب في المرابطة في سبيل الله عز وجل (٤/ ٤٠) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٣٦) .

(١٦٧) رواه الترمذي في فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل المرابط وقال هذا حديث حسن (٧/ ١٦٢) ، وحسنه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٩/ ٤٦٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٣٦١) ، وانظر حاشية رقم (١٦١).

الفرع الثاني

الصدقـــة الجـــارية

الصـدقة الجـارية هي الصدقـة الدارة المتصلة كـالوقوف المرصـودة لأبواب البر[١٦٨] فهي إذن التي تقدمهـا في حياتك وتستمر منفعتهـا وريعها بعد الموت لفترة من الزمن. وأنواعها كثـيرة منها : حفر الآبار ، وبناء الملاجىء ، وغرس الأشجار[١٦٩] ، وبناء المساجد ودور الأيتام، والتبرع بالأعضاء بعد الوفاة[١٧٠]، وسقي الماء في الأماكن العامة؛ كوضع البرادات في المساجد والمدارس والأسواق ونحو ذلك . روى أبو هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحـسناته بعد موته علمـا علَّمه ونشره، وولداً صالحـاً تركه ، ومصحفاً ورَّثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »[١٧١] .

---

(١٦٨) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦٤) .

(١٦٩) عن أنسٍ بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرعُ زرعاً فـيأكل منه طير أو إنسان أو بهـيمة إلا كان له به صـدقة » . { رواه البخاري واللفظ له في كتاب الحـرث والمزارعة : باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (٥/ ٥) ، ومسلم في كتاب المساقاة : باب فضل الغرس والزرع (١٠/ ٢١٣) ، وأحمد ــ الفتح الرباني ــ كتاب البيوع : باب ما جاء في الكسب بالزراعة وفضلها (١٥/ ١٠) ، والتـرمذي في كـتـاب الأحكام : باب مـا جاء في فـضل الغـرس (٦/ ١٥٢) } .

(١٧٠) للاستزادة في ذلك راجع مجلة البـحوث الفقهية المعاصرة (صـفحة ١٧٧) ، العدد التاسع، السنة الثالثة ، ١٤١١هـ السعودية .

(١٧١) رواه ابن ماجـه في المقدمة واللفظ له: باب ثـواب معلم الناس الخيـر بإسناد حسن (١/ ١٠٦) ، والبيـهقي في باب الزكـاة : فصل في الاختـيار في صـدقة التطوع (٣٤٤٨) ، وابن خزيمـة في الزكاة باب فضـائل بناء السـوق لأبناء السابلة وحـفر الأنهار (٤/ ١٢١) ، وحسنه المناوي في فيض القـدير (٢/ ٥٤٠) ، ووافقه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٧٤) .

إن الإنسان جُبل على حب التـملك والاكتناز ، ولكنَّ هذه الغريزة الفطرية تضخمت في عقول كثير من الناس ، حتى أصبحت أكبر من حجمها ، فطغت على سلوكهم ، وغيَّرت من مفاهيمهم ، وجعلتهم لا يفكرون إلا فيما ينفقونه على ملاذِّ أنفسهم وشهواتهم ، فنسوا آخرتهم .

عندما وزعت عائشة رضي الله عنها لحم شـاة ذات يوم على الفقراء أبقت الكتف ، فلما سألها الـنبي ﷺ « ما بقي منها » ؟ قالت ما بقي منها إلا كـتفها ، أي الذي لم تتصدق به . ولكن رسـول الله ﷺ بنظرته التي تحمل همَّ الآخرة ، صـحح مفـهومـها ووسَّع مـداركهـا ، وذكَّرها بالآخـرة رغم أنها كـانت من المتصدقات ، فبـماذا أجابها ؟ قال ﷺ « بقيَ كُلُّها غيـرَ كتفها »[(١٧٢)] . أي كأنه يقـول ما تصدقنا به فهـو الباقي وما بقي عندنا فهـو في الحقيقـة غير باق إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **ماعندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾[(١٧٣)] . فمتى نوقن بهذه الآية ؟ .

أخي التاجر : أخي الموظف : يا مَنْ أنعم الله عليك بـالمال الوفير ، ماذا قدمت لنفسك حـتى الآن ؟ أتريد أن تكون غنياً في الدنيا معـدماً في الآخرة ؟ أتظن أن الله تبارك وتعـالى أعطاك هذا المال لتصرفـه على شهواتك فـحسب ؟ أتظن أن ما تملكه من عـقارات ومشروعات أو مـا ادخرته في البنوك من ثروات هو مالك الحقيقي والفعلي ؟ كلا ! اسمع لرسولك محمد ﷺ الذي يصحح لك هذا المفهوم :

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يقول العبد مالي مالي ، إنما له من ماله ثلاث : مـا أكل فأفنى أو لبس فـأبلى أو أعطى فاقـتنى (أي ادخر ثوابه في الآخرة) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس »[(١٧٤)] .

---

(١٧٢) رواه التـرمذي في أبواب صـفـة القيـامة بابٌ ، وقـال : هذا حـديث صحيـح (٩/ ٢٩٠) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٠٩) .

(١٧٣) سورة النحل (٩٦) .

(١٧٤) رواه الإمام مسلم في أول كتاب الزهد (١٨/ ٩٤) .

وروى عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « أيكم مال وارثه أحبُ إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ما منا إلا ماله أحبُ إليه ! قال : فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخَّر »(١٧٥) .

لذا فإن كنت حريصاً على الثراء والغنى الحقيقي فأكثر من الصدقة وبالأخص الجارية منها فإنها رصيدك الفعلي ، وما سوى ذلك فهو ليس لك وإنما لورثتك .

وقف رسول الله ﷺ على مجلس من بني سلمة فقال يا بني سلمة : ما الرقوب فيكم ؟ قال : الذي لا ولد له . قال بل هو الذي لا فرط له . قال ما المُعدمَ فيكم ؟ قالوا الذي لا مال له ، قال بل الذي يَقدمُ وليس له عند الله خير» (١٧٦) . فكم من غني في الدنيا سيكون فقيراً معدماً في الآخرة ذلك لأنه لم يقدم لنفسه شيئاً من الصدقات ولا حول ولاقوة إلا بالله .

ألا تريد أن تكون كمثل عثمان بن عفان ﷺ الذي انتفع بماله فاشترى به الجنة ثلاث مرات حتى قال عنه رسول الله ﷺ : « ما ضر عثمان ما عمل

---

(١٧٥) رواه البخاري واللفظ له في الرقاق باب ما قدَّم من ماله فهو له (١١/ ٢٦٤) ، والنسائي في الوصايا باب الكراهية في تأخير الوصية (٦/ ٢٣٧/ ح ٣٦١٤) .

- قال ابن حجر في الفتح : قال ابن بطال وغيره : فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة ، فإن كل شيء يخلفه المورِّث يصير ملكا للوارث فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه ، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته ، ولا يعارضه قوله ﷺ لسعد : « إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة » لأن حديث سعد محمول على مَنْ تصدق بماله كله أو بمعظمه في مرضه ، وحديث ابن مسعود في حق من يتصدق في صحته وشُحِّه أهـ [فتح الباري (١١/ ٢٦٥ / ح ٦٤٤٢)] .

(١٧٦) رواه أبو يعلى والبزار عن أنس ﷺ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١) : رواه أبو يعلى والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح أهـ ، ورواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ (١٦/ ١٦١) ولم يذكر المعدم وإنما ذكر فما تعدون الصرعة فيكم .

قم بزيارة أحد مكاتب هيئة الإغاثة الإسلامية أو الندوة العالمية للشباب الإسلامي أو ما شابههما من جمعيات خيرية موثوقة ، وأهل البر من المشايخ والصالحين في بلدك ، وسترى عندهم مختلف مشاريع الصدقة الجارية . ويمكنك اختيار ما تطيب نفسك به وما ترى فيه عظيم الأجر ودوامه بعد موتك ، وإياك وتسويف هذا الأمر فإنك لا تدري متى تلفظ نَفَسَك الأخير .

العقلية التجارية :

لا شك أن كل من سيقدم لنفسه صدقة أن الله سيثيبه عليها أجراً عظيماً ، إن شاء الله لقوله تعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفُسكُم من خير تجدوه عندَ الله هو خيراً وأعظمَ أجراً واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم** ﴾[١٨١] .

ولكن من الناس من عنده ضيق أفق وتصور محدود في أمر الوقف لا يتعدى بناء مسجد بجوار بيته ، أو شراء برَّادة أو مصحف لمسجد ، أو إيقاف مزرعة على ذريته ونحو ذلك . ولكن لِمَ لا نوسع الآفاق في مجال الإنفاق ونحمل عقولاً تجارية لكسب مزيد من الحسنات ؟ فإن هدفك أيها القارىء ينبغي أن يكون : كيف تستثمر وقتك ومالك لتزيد من حسناتك ؟

فكما يفكر التجار في أمر دنياهم كيف ينفقون قليلاً ليربحوا كثيراً ، ينبغي عليك أن تفكر كتفكيرهم ولكن في أمر آخرتك . فَلِمَ لا تتاجر مع ربك فتنتقي العمل الذي يدرُّ لك أجراً أكثر من غيره ؟ فإن ابن عباس ﷺ ترك اعتكافه في مسجد رسول الله ﷺ الذي يتضاعف فيه ثواب الصلاة إلى ألف صلاة فيما سواه ؛ لمجرد أن جاءه رجل في حاجة فخرج معه لحاجته ؛ لعلمه بأن قضاء حوائج الناس خير من اعتكافه شهراً كاملاً في المسجد النبوي الشريف . تلك عقلية تجارية تنتقي الأجر الأعظم طالما أن كلا العبادتين المخير بينهما من السنن الفاضلة . وإليك بعض الاقتراحات في أمر الوقف والصدقة الجارية :

● بدلاً من أن توقف برادة ماء في مسجد تكدست فيه البرادات مع قلة من يشرب منها ، يمكنك أن توقف برادة أو أكثر في مدرسة من مدارس البنين

---

(١٨١) المزمل (جزء من آية ٢٠) .

والبنات هم لهـا أكـثر حـاجة واسـتـخداماً ؛ حـيث يقطنهـا مئـات الطلاب والطالبات، ومعظمهم سيشـرب من هذه البرادة يومياً ، في حين لا يتعدى من يشرب يومياً من برادة المسجد أصابع اليدين .

● بدلاً من تشييد وزخرفة مسـجد واحد قد تزيد تكلفته على نصف مليون ريال في بلدك الذي تكثر فيـه المساجد ، فإنه بإمكانك بناء عدة مـساجد بنفس هذه التكلفة في دول أفـريقيا ودول شـرق آسيا التي يفـوق عدد المسلمين فيـها أحياناً سكان بلدك قاطبة . وهذا لا شك يزيد من ثوابك ومن عدد قصورك في الجنة بإذن الله تعالى(١٨٢) .

● بدلاً من شراء عدة مصاحف وتوزيعها في أحد مساجد منطقتك التي زاد عدد مصـاحفها عـدد المصلين فعلاها الغبـار . يمكنك دفع ثمن هذه المصاحف لشراء مثلـها وتوزيعها في الدول التي يقطنهـا أكثريات أو أقليات إسـلامية هم أكثـر منا حاجة إلى رؤية المصـحف . لا سيمـا أن المصاحف متـوافرة في دول الخليج ولله الحمد .

إن جميع مـا سبق من اقتراحات وأكـثر منها يمكنك إنجازها بمساعـدة هيئة الإغاثـة الإسلاميـة والندوة العالمـية للشـباب وغيـرها من هيـئات موثوقـة في بلدك . . . فهل تحمل هذه العقلية ؟ (١٨٣) .

---

(١٨٢) راجع كتابي كيف تبني لك قصراً في الجنة ؟ (تحت الطبع) .

(١٨٣) ولعل قائلا يقول لو بادر كل الناس إلى مثل هذه الاقتـراحات لتوقف بذل الخير في بلادنا وانحسـرت مظاهره ؛ والبلد لايزال يفتـقر إلى كـثير من مـشروعات الخـير والوقف. فهذا صحيح ، وإنما هذه الاقتراحات يؤخذ بها متى كانت متوافرة وقلّت الحاجة إليها في بلدك . ومتى كان ذلك كذلك فلا يمنع أن تقام في بلاد أخرى قلّ فيـها الأغنيـاء وأهل الإحسـان من المسلمين ، لاسيـما أن النصارى هنـاك يبذلون جهودا جبارة لتنصير المسـلمين وتشكيكهم في دينهم مغتنمين جهلهم بالدين وبعدنا عنهم.

الفرع الثالث

تربية الولـــد على الصلاح

أخي المسلم إن ولدك الصــالح عمر إضــافي لك ، وامتداد لحـسناتك بعد موتك، فــاحرص على الإكثــار منه من زوجة صالحــة ، ومن ثم احرص على تربيته وتنشئته على طاعــة الله ، واعلم أن الوحيد الذي سيواصل برك ويذكرك بخـير وصــدق إذا وسدت في قــبرك هو ولدك الصــالح ، وهو الوحيــد الذي سيدعو لك باســتمرار وإخلاص وأنت في قبرك . فهو امتــداد لحياتك ولذكرك الحسن ، وبوجــوده لن تنقطع حسناتك بعــد وفاتك بإذن الله . وهذا مــصداق قول النبي ﷺ إذا مــات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وذكــر منها وولد صالح يدعــو له. وبدعائه لك ترفع درجتك في الجنة كــما قال ﷺ : « إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول أي رب أنىَّ لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك »(١٨٤) .

فحــري بك أخي القارىء أن تفرح بــوجود الأولاد الصالحين في المجــتمع لأنهم ذخرٌ لآبائهم وسلاح لمجــتمعهم ، وأن تحزن في المقــابل أشد الحزن على ذلك الأب الذي خــسر أبــناءه وهم أحيــاء بين يديه ، لأنه أهمل تــربيتــهم ، وتركهم هملاً في المجتمع ، فتحمَّل وزره ووزرهم ، وقطع عن نفسه رافداً من

---

(١٨٤) رواه أحمــد ــ الفتح الرباني ــ أبواب صــدقة التطوع : باب مــا جاء في الصــدقة الجارية وقال البنّــا لم أقف عليه لغير الإمام أحــمد ورجاله رجال الصــحيحين أهـ (٩/ ٢٠٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وقد وثق أهـ (١٠/ ٢١٠) ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ، وحسنه المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٣٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦١٧) .

● راجع كتابي كيف ترفع درجتك في الجنة ؟ (تحت الطبع) .

الحسنات ورَفع الدرجات كان بالإمكان أن يستفيد منه بعد وفاته .

أيها الأب إنك لن تعرف قيمة ولدك الصالح إلا إذا وسدت في قبرك، فرأيت الهدايا تلو الهدايا من ثواب استغفار أو صدقة أو دعاء أو حج تصل إليك من ذلك الولد البار ، الذي لن ينساك بعد وفاتك ؛ لأنه سيتقرب إلى الله ببرك والدعاء لك وأنت في قبرك ، وساعتها ستعرف ثمرة تربيتك وتشجيعك له بالالتزام بهذا الدين وبمخالطة الصالحين ، وأن تلك التربية لم تذهب سدى ولله الحمد . وأما الابن الطالح فإنه في الغالب لن يعرف عن أبيه إلا كَمْ خلَّف من مال وعقار ، وقد يذكر أباه بخير وقد لا يذكره إلاَّ بِشر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الفرع الرابع

تعـليم النـــاس

ومن الأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات تعليم الناس الخير ، ويكون ذلك بطريقين اثنين :

(أ) نشر العلم وكتابته :

إن من خير العبادات التي يمكن التقرب بها إلى الله تعالى بعد الفرائض هو تعلم دين الله وتعليمه . لقد رغب الإسلام في نشر العلم وتوعد من كتمه بلجام من نار يوم القيامة (١٨٥) . ولهذا دأب كثير من أهل العلم منذ القدم على تعليم الناس أمر دينهم وتدوين ما تعلموه ليبقى ذخراً للأجيال التي بعدهم مبتغين دوام الأجر من الله بعد أن سمعوا ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ حينما قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جاريةٍ وعلمٍ ينتفع به وولد صالح يدعو له » (١٨٦) . فيستفاد من هذا الحديث

(١٨٥) عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » { رواه أبو داود في كتاب العلم : باب كراهة منع العلم (١٠/ ٩١) ، والترمذي واللفظ له في أبواب العلم : باب ما جاء في كتم العلم وحسّنه (١٠/١١٨) ، ووافقه الأرنؤوط في جامع الأصول (٨/ ١٢) } .
وفي رواية له أن رسول الله ﷺ قال : « ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أُتي به يوم القيامة ملجماً بلجام من النار ». { رواه ابن ماجه في المقدمة : باب من سئل عن علم فكتمه (١/ ١١٤) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١١٦) } .

(١٨٦) رواه الإمام مسلم في كتاب الوصية : باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١١/ ٨٥) ، وأبو داود في كتاب الوصايا : باب ما جاء في الصدقة عن الميت (٨/ ٨٦) ، والترمذي واللفظ له في كتاب الأحكام : باب الوقف (٦/ ١٤٤) ، والنسائي في كتاب الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت (٦/ ٢٥١/ ح٣٦٥٣) .

فضيلة العلم والترغيب في توريثه بالتعليم والتأليف .

تَفكَّر معي قليـلا في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه الذي روى لنا أكـثر من خـمسـة آلاف حـديث ، يقـرأها معظم المسـلمين اليوم في مـعظم كـتب الحديث. تفكر في ثوابه الذي لـم ينقطع منذ أكثر من ألف وأربعـمائة سنة إلى اليوم وإلى قـيام الساعـة إن شاء الله. وتفكر في العلمـاء السابقين مـثل الأئمة الأربعة وغيـرهم، وكثير ممن ألَّفوا المؤلفـات أو نشروا العلم فدونّه الطلاب من أفواههم، قد ماتوا منذ مـئات السنين ولكن بقيت حسناتهم مستـمرة بعدهم ما عُمِلَ بذلك العلم، ولا يزال الناس يسـتفيدون مما قدموا مـن علم بينما أقرانهم الذين عاشوا معهم من تجـار وصناع ونحوهم لا يعرف عنهم شيء، وقد يكون انقطع أجرهم، بينمـا أصحاب الصـدقات الجارية ذكـرهم الحسن لا يزال على الألسن وحسناتهم لا تزال تدر عليـهم. وصدق ابن الجوزي حين قـال: كتاب العالم ولده المخلد(١٨٧) . فتخليد العلم يكون بتـدوينه ونشره للأجيال. فإذا لم تستطع أن تؤلف بعـض الرسائل أو الكتب فادعـمها مـاديا وانشرها بين الناس بالإهداء لهم(١٨٨)، وكذلك الحال مع الشريط الإسلامي الذي ضاهى الكتب في الانتشار في هذا العصر .

(ب) الدعوة إلى الله :

ومن طرق نشر العلم الدعوة إلى الله ، وهي من أجلِّ العبادات التي تُقرب إلى الله جل وعلا ، فـهي وظيفة الأنبـياء والمرسلين مِنْ قَبْل . قـال الله تبارك

---

(١٨٧) قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة (صفحة ٤٥) .

(١٨٨) اعتـادت كثيـر من الأسر على إهداء أقـربائهم وأصدقائهم بـعض التحف والأواني المنزلية الثمينة عنـد سكناهم لبيت جديد . الا ترى أخي المسلم أنه من المناسب أن تستـبدل هذه العـادة بما هو أكثـر نفعـاً لك ولساكن البـيت الجديد ؟ بأن تشـتري مجموعة مـن الكتب القيمة وتقدمها له في تغليف جـميل بمثابة هدية المنزل الجديد يجري لك نفعها ما استفيـد منها وتكون نشرت سنة حسنة في مجتمعك ، فلعلك بصنيعك هذا تفتح باب الهداية لهذه الأسرة .

وتعالى في شأنها ﴿ ومَنْ أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعـمِل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ (١٨٩) .

وإن كانت الدعوة تدخل ضـمن مجال نشر العلم ، إلا أن للدعـوة أهمية كبيرة للداعي والمدعو يغفل عنها كثيرون ، لذا أفردتها لينتبه لذلك . فإن الدال على الخيـر كفـاعله ، وإنك إن دللت إنسانا على الله ثم اسـتقـام ، فلك مثل صلاته وتسـبيحه وجـميع صالح أعمـاله لا ينقص من أجره شيئـاً . وإذا دعا بدوره أناسـاً فتـابوا ، فلك مثل أجـورهم ولو كنت في قـبرك . وهكذا فـإنه يسجل لك أجور خـلق كثير فكأنك رُزقت أعمـاراً كثيره . ومـصداق ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من دعـا إلى هـدى ، كان له من الأجـر مثلُ أجـور من تبعـه ، لا ينقص ذلك من أجـورهم شـيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم ، مثل آثام من تبعه ، لا ينقص من آثامهم شيئا » (١٩٠) .

---

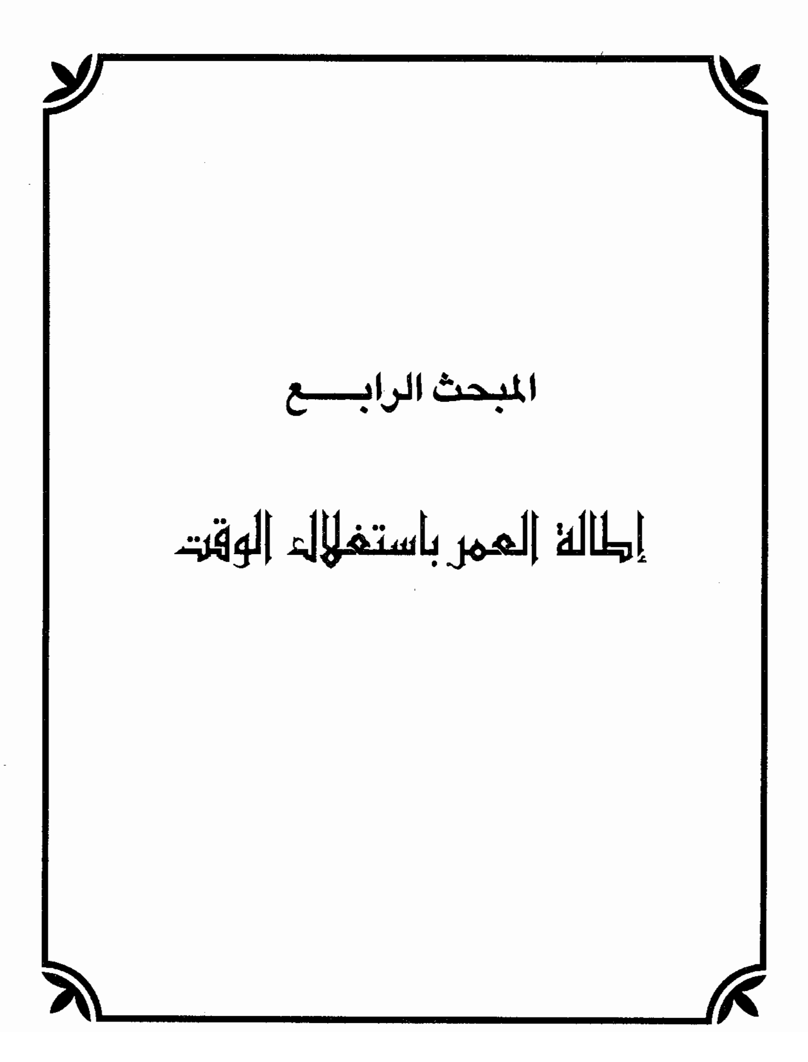
(١٨٩) سورة فصلت آية (٣٣) .

(١٩٠) رواه الإمـام مسلم واللفظ له في كـتاب العـلم : باب من سن سنة حسنة أو سـيئـة (١٦/ ٢٢٧)، وأبو داود في كـتـاب السنة : باب من دعـا إلى السنة (١٢/ ٣٦٢) ، والترمـذي في أبواب العلم : باب ما جاء فـيمن دعا إلى هدى فـاتبع أو إلى ضلالة (١٠/ ١٤٢) .

● قال المناوي في فيض القدير (٦/ ١٢٥) أخذ المقريزي من هذا الخبر أن كل أجر حصل للشهيـد حصل للنبي ﷺ بسببـه مثله . فالحيـاة أجر فيحصل للنـبي ﷺ مثلها زيادة على ما له من الأجر الخاص من نفسه على هذا المهتدي وعلى ما له من الأجور على حسناته الخاصـة من الأعمال والمعارف والأحوال التي لا تصل جـميع الأمة إلى عرف نشرها ولا يبلغون معاشر عشرها ، فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبينا ﷺ زيادة على ما له من الأجر مع مضاعفة لا يحصيها إلا الله؛ لأن كل مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل لـه أجر ويتجدد لشيخه في الهداية مثل ذلك الأجر ولشـيخ شيخـه مثلاه، والشـيخ الثالث أربعة، والرابع ثمـانية . وهكذا تضعف كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى النبي ﷺ ، وبذلك يُعرف تفضيل السلف على الخلف. فـإذا فـرضت المراتب عـشرة بعـد النبي كـان للنبي ﷺ من الأجر ألف وأربعة وعشرون، فإذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار أجر النبي ﷺ ألفين وثمانية وأربعين ، وهكذا كلما ازدادوا واحدا يتضاعف ماكان قبله أبداً أهـ .

الدعاة إلى ذلك ، اللهم آمين .

إذا كان الأغنياء الصالحون يحرصون كل الحرص على البحث عن أفضل أنواع الوقف الذي يستمر نفعه عشرات السنين كي لا ينقطع أجرهم بعد موتهم. فاعلم بأن دعوتك إلى الخير هي من أعظم وأهم أنواع الوقف . فلو علَّمت أحداً أو دعوته أو نشرت فكرة حسنة أو علما نافعاً فإن كل من عمل به من فقراء أو أغنياء على حد سواء سيكون لك مثل أجرهم ما عملوا به . فلا تظن أن الوقف ينحصر في بناء المساجد وإيقاف المزارع وتوزيع المصاحف ونحو ذلك فحسب ، فتأمل .



المبحث الرابـــع

إطالة العمر باستغلال الوقت

المبحث الرابع
إطالة العمر باستغلال الوقت

لقد تم ذكـر ثلاث وسائل لإطالة العمـر فالوسيلة الأولى كـانت بالتحلي ببعض الأخلاق الحمـيدة ، والوسيلة الثانية بالمثابـرة على الأعمال ذات الأجور المضاعـفة ، والوسيلة الثـالثة بالمبادره إلى الأعمـال الجاري ثوابها إلى مـا بعد الممات ، وبقيت وسيلة رابعة هي استغلال الوقت في العمل الصالح .

أهمية استغلال الوقت :

وقتك هو حـياتك ورأس مـالك ، وبعبارة أخـرى هو عمـرك . فإياك أن تُضيِّع منه دقيقة واحدة في غير طاعة .

لو شاهدت إنسانا يحرق كل يوم مبلغـاً زهيداً من المال لعددته من السفهاء الذين ينبغي أن يحجر على أموالهم . والذي يضيع جزءاً من عمره فيما لا ينفع أعظم سفهاً ممن أحـرق ذلك المال ، لأن المال يمكن أن يعوض ، ولا عوض في فوات الأعمار . وصدق الشاعر حين قال :

أمسِ الـــذي مَرَّ عن قربـــه ... يعجـــز أهلُ الزمـــان من ردِّه

إن المؤمن الصادق يـعلم أنه في صراع دائم مع الوقت . وأن السـاعة التي تمر عليه ولا يغنم فيها حسنات فإنه مغبون فيها . ولهذا كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شـمسه ، نقص فيه أجلي ولـم يزد فيه عملي » [١٩١] . لذلك فإن المسلم مـا جلس في مجلس أو مشى في طريق ولـم يذكر فيه ربه عز وجل ، إلا تحـسَّر عليه يوم القيامة لفوات

---

(١٩١) قيمـة الزمن عند العلماء لعبد الفـتاح أبو غدة (صفحـة ٢٧) ، وكتاب الوقت في حياة المسلم للدكتور يوسف القرضاوي (صفحة ١٣) .

تلك الساعة في غير طاعة ؛ قد ترفعه درجة في الجنة ؛ لما يرى من النعيم المقيم هناك. ومصداق هذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم تِرَة (أي نقص أو حسرة). وما من رجل مشى طريقاً فلم يذكر الله عز وجل إلا كان عليه ترة ، وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله إلا كان عليه ترة » (١٩٢) .

انظر إلى إنجازات ومؤلفات بعض السلف التي فاقت بعضها عدد سنوات أعمارهم . كيف كتبوها ؟ ومتى ألفوها في عصر عدمت فيه المطابع والحاسبات الآلية (الكمبيوتر) ؟ قد يكون الجواب أنهم استغلوا دقائق العمر فضلا عن ساعاته وأيامه فكانت أيامهم مباركة .

بلغ بعضهم في استغلال وقته في طاعة الله ما قد نعتبره خرافة في عرفنا ، حيث روى أبو نعيم في حلية الأولياء أن داود الطائي رحمه الله كان يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز ، فقيل له في ذلك ، فقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية (١٩٣) . فتفكر معي رحمك الله في أولئك الأفذاذ كيف استغلوا ساعات أعمارهم فيما ينفعهم(١٩٤) .

فلو تقرأ سِيَر بعض سلف هذه الأمة في كيفية استغلالهم للوقت واحترازهم من التفريط في أي لحظة من حياتهم أن تكون في غير طاعة لسَخِرْتَ من جدول حياتك اليومي . فلقد كان بعضهم أشد حرصا على وقته من حرصنا اليوم على ريالاتنا والله المستعان .

كان من استغلال بعض السلف للوقت أنهم كانوا يكثرون من تلاوة القرآن

---

(١٩٢) رواه أحمد واللفظ له ــ الفتح الرباني ــ كتاب الأذكار والدعوات : باب في فضل الذكر مطلقاً وقال البنّا في الفتح : أخرجه : أبو داود والنسائي وابن حبان وسنده جيد أ هـ (١٤/ ٢٠٢) ، وحسن إسناده الأرنؤوط في جامع الأصول (٤/ ٤٧٢) .

(١٩٣) دواء القلوب وصلاح النفوس (صفحة ٩١) .

(١٩٤) للاستزادة من ذلك اقرأ كتاب قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة .

أثناء تجوالهم وترحالهم حتى قاسوا المسافات والأوقات بعدد آيات القرآن .

وكان مجد الدين أبو البركات جَدّ الإمام ابن تيمية إذا أراد دخول الخلاء طلب أن يقرأ عليه من أحد كتب العلم بصوت مرتفع حتى لا يمر عليه الوقت إلا بفائدة يجنيها (١٩٥) فهل نصل إلى ما وصلوا إليه .

وكان الحسن البصري المعروف باجتهاده وعبادته لايدع دقيقه من حياته تضيع سدى . فكان إذا وجد فراغاً ولم يجد لديه شغلاً حرّك لسانه بالتسبيح(١٩٦) .

ألا يخجل بعد ذلك من يسأل عن حكم لعب الورق أو عن حكم مشاهدة الأفلام الغرامية أو البوليسية أو ما شابه ذلك ، إذا قرأ سير هؤلاء العلماء الذين عرفوا للوقت قيمته ؟

إن من استغلال الوقت في وقتنا المعاصر سماع الأشرطة الإسلامية أثناء قيادة السيارة . فلو استمعت أخي القارىء إلى ما يقارب مائتي شريط خلال عام واحد ، فمعنى ذلك أنك استغللت قرابة مائتي ساعة من سنوات عمرك فيما يرضي الله كانت ستضيع في الغالب دون فائدة . ألا يمكنك أيضا أن تصنع كما صنع مجد الدين أبو البركات ، فإذا أردت دخول الخلاء وضعت شريطا لمحاضرة أو درس خارج الخلاء فاستمعت إليه فيزيدك إيمانا وعلما في وقت ومكانٍ يغفل عن استغلاله كثير من الصالحين فضلا عن غيرهم ؟ (١٩٧) .

ألا تتدارك وقتك لاستغلاله فيما ينفعك من عمل الدنيا أو الآخرة ؟ فمتى

---

(١٩٥) المرجع السابق بتصرف (صفحة ٦٧) .

(١٩٦) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل (صفحة ٢٨٢) ، وكتاب جامع العلوم والحكم (٥١٧/٢) .

(١٩٧) ولكن لا يكن ذلك دافعاً للإطالة في جلوسك في الخلاء لكراهة العلماء ذلك . انظر المغني لابن قدامة تحقيق د. عبد الله التركي و د. عبد الفتاح الحلو (٢٢٦/١).

نستفيق من غفلتنا ومتى ندرك سِرَّ وجودنا على هذه الأرض يا ترى ؟

إن الواحـد منا ليـحزن أشـد الحـزن إذا ضاع عـليه مـبلغ زهيـد من المال ولايحزن على ضياع وقته وعمـره فيما لا ينفع . كان أبو الدرداء ﷺ يقول : ما من أحـد إلا وفي عقله نقص عن حلمـه وعلمه ، وذلك أنه إذا أتتـه الدنيا بزيادة مال ظل فرحـاً مسروراً ، والليل والنهار دائبان في هدم عـمره لا يحزنه ذلك ، ضلَّ ضلالة ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص[198] ؟ وكان سَرِيًّ السقطي يقول : إن اغتممت بما ينقص من مالك فابْكِ على ما ينقص من عُمُرك[199]. وقال أبو بكر بن عياش : إن أحـدهم لو سقط منه درهم لظل يومه يقول : إنا لله ، ذهب درهمي ولا يقول ذهب يومي ما عملت فيه[200] .

كن مثالياً في اسـتثمار وقتك ، بأن لا تعطل سمـعك أو لسانك عن فعل الخير مـا دمت مستـيقظاً ، فإنك لا تدري متى تقف دقـات قلبك . حاول أن تصرف جُلَّ وقتك في المسـارعة للخيرات لكسب مـزيد من الحسنات؛ من ذكر لله عز وجل ، وقراءة لـلقرآن الكريم وللكتب النافعة وصلة لـلأرحام والدعوة إلى الله ونحو ذلك بعد أداء كسب معاشك على أكمل وجه . فإذا أصابك فتور فروح عن نفـسك قليلا بالمباحات ، واحـتسبـها عند الله بنيّة التقـوي بها على الطاعة ؛ لتحسب لك أيضا في ميزان حسناتك إن شاء الله[201] .

اغتنم حياتك قبل موتك :

إن تفاوت أعـمار البشر من أسـرار الله في خلقه . فترى هذا يموت لعـمر

---

(١٩٨) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٢٦٩) .

(١٩٩) المصدر السابق (١/ ٥٥٩) .

(٢٠٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٠٣) .

(٢٠١) راجع فقرة احتساب الأعمال المباحة في حياتك من هذا الكتاب (صفحة ١٣٥) .

يناهز الستين وآخر مات وهو في الثلاثين وآخر مات ولم يبلغ الحلم . **وهكذا كلٌ يُعطى فرصته في الحياة ليرى الله كيف يعمل العاملون** . فالحياة نعمة ومنَّة مِنَ الله لعبيده إذا اغتنمت في مرضاة الله . فهل تغتنم فرصتك في الحياة قبل أن تنتهي ؟

إن الفرد منا لو شَيَّع جنازة أخ له أو صديق يقاربه في السن ، ينبغي أن يستشعر لو كان هو مكانه، وكيف أن فرصة ذلك الأخ أو ذلك الصديق في الحياة قد انتهت ، ثم ليعرف نعمة الله عليه حين جعله أطول عمراً من ذلك الأخ أو الصديق ، وأنه آن له أن يجدد التوبة من تقصيره في جنب الله ، وأن يستغل ما تبقَّى من حياته بمنافسة من سبقه للآخرة بالقيام بالمزيد من العمل الصالح .

إذا علمت أنك منذ أن تولد يبدأ عليك العد التنازلي في ساعات عمرك ، فابدأ أنت في العد التصاعدي في جمع الحسنات الكثيرات لإطالة عمرك الإنتاجي . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل أنت فيهما (٢٠٢) .

ألا تسأل عن خبر رجلين توفيا في زمن النبي ﷺ فتعرف سبب تفاوت درجتيهما في الجنة ؟ استمع إلى هذه القصة العجيبة التي رواها لنا أبو هريرة رضي الله عنه لتدرك نعمة العمر فتغتنمه في طاعة الله . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجلان من بلي (اسم منطقة أو حي) من قضاعة ، أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأُخِّر الآخر سنة ، فقال طلحة بن عبيد الله : فرأيت المؤخر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد ، فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، أو ذُكِرَ لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة

---

(٢٠٢) الوقت في حياة المسلم للدكتور يوسف القرضاوي (صفحة ١٣) .

يناهز الستين وآخر مات وهو في الثلاثين وآخر مات ولم يبلغ الحلم . وهكذا **كلٌ يُعطى فرصته في الحياة ليرى الله كيف يعمل العاملون** . فالحياة نعمة ومنَّة مِنَ الله لعبيده إذا اغتنمت في مرضاة الله . فهل تغتنم فرصتك في الحياة قبل أن تنتهي ؟

إن الفرد منا لو شَيَّع جنازة أخ له أو صديق يقاربه في السن ، ينبغي أن يستشعر لو كان هو مكانه، وكيف أن فرصة ذلك الأخ أو ذلك الصديق في الحياة قد انتهت ، ثم ليعرف نعمة الله عليه حين جعله أطول عمراً من ذلك الأخ أو الصديق ، وأنه آن له أن يجدد التوبة من تقصيره في جنب الله ، وأن يستغل ما تبقَّى من حياته بمنافسة من سبقه للآخرة بالقيام بالمزيد من العمل الصالح .

إذا علمت أنك منذ أن تولد يبدأ عليك العد التنازلي في ساعات عمرك ، فابدأ أنت في العد التصاعدي في جمع الحسنات الكثيرات لإطالة عمرك الإنتاجي . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل أنت فيهما (٢٠٢) .

ألا تسأل عن خبر رجلين توفيا في زمن النبي ﷺ فتعرف سبب تفاوت درجتيهما في الجنة ؟ استمع إلى هذه القصة العجيبة التي رواها لنا أبو هريرة رضي الله عنه لتدرك نعمة العمر فتغتنمه في طاعة الله . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجلان من بلي (اسم منطقة أو حي) من قضاعة ، أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأُخِّر الآخر سنة ، فقال طلحة بن عبيد الله : فرأيت المؤخر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد ، فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، أو ذُكِرَ لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة

---

(٢٠٢) الوقت في حياة المسلم للدكتور يوسف القرضاوي (صفحة ١٣) .

صلاة سُنَّة ؟ (٢٠٣) .

فزيادة العمر منحة ربانية يعطيها الله لمن شاء من عباده لعله يزداد بها طاعة. فحياتك أيها القارىء الكريم نعمة فاستغلها في طاعة الله قبل دنو أجلك لتحظى برضا الرحمن وترقى أعلى الجنان . وإياك وتسويف التوبة من أي معصية ؛ لأنك بذلك تختزل من عمرك الإنتاجي وتقصر من أيام طاعاتك وقرباتك لله . واعلم أن سلعة الله ــ الجنة ــ غالية ، والدنيا ليست دار راحة واستقرار ، وإنما هي دار ابتلاء وعمل . **فادَّخر راحتك في قبرك وقلل من لهوك ونومك فإن من ورائك نومة طويلة صبحها يوم القيامة** .

المسارعة إلى التوبة :

إن الله تعالى لا يجعل درجة عبدٍ أسرع إليه كدرجة عبدٍ أبطأ عنه ، أرأيت إنسانا التزم طاعة الله منذ أن كان عمره عشرين سنة ، ورجل آخر سوَّف في توبته والتزامه حتى قارب الستين ، بعد أن ضيع عمره وشبابه في لهو وغفلة، فضيَّع عليه مرحلة الشاب الذي نشأ في طاعة الله . هل يستوي هو ومن عُمِّرَ في طاعة الله السنوات الطوال ؟ فلعلك لا تزال تذكر قصَّة الرجلين السابقة الذكر . إن من يُسوِّف التوبة ويُؤخِّر التزامه بطاعة الله ولا يأتمر بأمر الله فإنه في الحقيقة يُفوِّت عليه عمراً إنتاجياً ضخماً ويقصر عمره في طاعة الله . فبادر أخي المسلم إلى الله وارجع إليه راغباً تائباً ، واصغ إليه وهو يدعوك إلى المسارعة إليه بقوله جل وعلا **﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها**

---

(٢٠٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٣) ولم أجد هذه الرواية في الفتح الرباني . وقال البنا في الفتح: وله شاهد عند مسلم من حديث جابر بن عبد الله مختصراً أهـ (٢/ ٢٠٢)، ورواه ابن ماجه في أبواب تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤيا (٢/ ٤٥٦) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه أحمد باسناد حسن ورواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي أهـ (١/ ٢٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٦٨) .

السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ [٢٠٤] ، وكن مُكباً على العـمل الصالح خاصة الذي يطيل من عمرك ، تصب خيراً كثيراً . قال الحسن البصري : « لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه » [٢٠٥] .

توبـــة الخواص :

إن المسلم الحريص على إطالة عُمُره ينـبغي أن يرتقي بفهمه وهمته فيـعتبر إهدار الوقت في المباحـات والغلو فيها مـعصيـة في حق نفسه ينبغي المســارعة بالتوبة منها .

قال ابن القيم الجوزية : وتوبة الخواص تكون من تضييع الوقت في لغو أو لهو ، فإنه يـفضي إلى درك النقيصة ويـطفىء نور المراقبة ، وأما الحـافظ لوقته فهو مترق على درجات الكمال ، فـإذا أضاعه لم يقف موضعه ، بل ينزل إلى درجات من النقص . فإن لم يكن في تقدم فهو متأخر ولا بُدّ . فالعبد سائر لا واقف . فإما إلى فـوق وإما إلى أسفل . إما إلى أمـام وإما إلى وراء ، وليس في الطبيعـة ولا في الشريعة وقوف البتة . مـا هو إلا مراحل تُطوى أسرع طَي إلى الجنة أو إلى النار ، فمُسرع ومُبطىء ، ومتقدم ومتأخر . وليس في الطريق واقف البتة . وإنما يتخالفون في جهة السير وفي السرعة والبطء **﴿ إنها لأحدى الكُبرِ۝ نذيراً للبشرِ ۝ لمن شاء منكمْ أنْ يتقـدمَ أو يتأخر ﴾** [المدثر ٣٧] ولم يذكر واقفا . إذ لا منزل بين الجنة والنـار ، ولا طريق لسالك إلى غير الدارين البتة . فمن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصـالحة فهو متأخر إلى تلك الأعمال السيئة . أهـ [٢٠٦] .

---

(٢٠٤) سورة آل عمران آية (١٣٢) .

(٢٠٥) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/٣١٦) .

(٢٠٦) تهذيب مدارج السالكين (صفحة ١٥٤ـ١٥٥) .

احتساب الأعمال المباحة في حياتك :

من استغلال الوقت أيضاً: احتساب الأعـمال المباحة في حياتك. والمباح: ما لا يثـاب فاعله ولا يعـاقب تاركه. فـمن المباحات: الأكل والـشرب والنوم والنزهة وتعلم أي فن من العلوم غـير الشـرعيـة المباحـة واللهو البـريء ونحو ذلك.

إن هذه الأمور المباحـة والتي لا غنى للإنسان عنها تقتطع جزءًا غيـر يسير من عمره ، وبالأخص فترة النوم التي تمثل ثلث عمـره تقريبًا كما ذُكر ذلك في الفصل الأول مـن الكتاب . فإن احـتسـاب مثل هذه المباحـات عند الله ؛ بأن تنوي بها التقوّي على الطاعة والكف عن المعاصي قد تؤجر عليها إن شاء الله، وهذا قول كثير من أهل العلم . وبهذا الأسلوب تكون قد استغللت جزءا كبيراً من عمرك الزمني في كسب مزيد من الحسنات لتضيفه إلى عمرك الإنتاجي .

قـال ابن رجب : ومتـى نوى المؤمن بتناول شهـواته المباحـة التقـوِّي على الطاعة كـانت شهواته له طـاعة يُثابُ عليـها ، كمـا قال معـاذ بن جبل : إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ، يعني أنه ينوي بنومته التقوِّي على القيام في آخر الليل فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه أ هـ (٢٠٧) .

ويقول ابن الشاط « إذا قـصد بالمباحات التقـوي على الطاعات أو التوصل إليها كانت عبادة كالأكل والنوم واكتساب المال » (٢٠٨) . وقال الدكتور الأشقر: « فالمسلم إذا قصـد بنومه وأكله وشـربه أن يتقـوى بها على طاعـة الله ، كي يتمكن من قـيام الليل والجهاد في سبـيل الله ، فهذا مثـاب على هذه الأعمال

---

(٢٠٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٢/ ١٩٢) .

(٢٠٨) مقـاصد المكلـفين فيـما يتعـبد به لـرب العالمين للدكـتور عـمر سليـمان الأشـقر (صفحة٤٩٥).

بهذه النية » أهـ[٢٠٩] .

إن احتسابك للعمر الضائع من حياتك كالنوم ونحوه لهو وسيلة إضافية في إطالة العمر الإنتاجي ؛ كي تكسب فيه مزيدا من الحسنات . فإن المسلم الحريص على وقته والذي يتمنى أحياناً أن يكون اليوم أطول من أربع وعشرين ساعة ليستغله في عمل الطاعات ، فإنه إذا احتسب عند الله فترة نومه وهي محسوبة من عمره وستضيع عليه لا محالة لأنه مكره على ذلك ، فإن الله جل وعلا قد يثيبه على ذلك إن شاء الله . وكذلك فترة تناوله للطعام وقضائه للحاجة ونحو ذلك فاحتسب ذلك عند الله فإنه لن يكلفك شيئاً .

---

(٢٠٩) المصدر السابق .

الفصل الثالث

كيف تحافظ على عمرك الإنتاجي

الفصل الثالث

كيف تحافظ على عمرك الإنتاجي ؟

أخي المسلم هل بعد هذا الخير الذي ستعمله إن شاء الله ، والذي سيسجل لك به ثواب أعمال آلاف السنين ومليارات الحسنات وأنت في حقيقة الأمر لم تعش تلك السنوات ، وإنما كتب لك بها الثواب المضاعف .هل ستفكر بالمعاصي وتُضيِّع العمر بما لا ينفع ؟ ألا ينبغي عليك بعد اليوم المحافظة على هذه الأعمال في صندوق الإخلاص حتى تلقى الله بها يوم القيامة ؟ إن الإنسان لا يعلم متى يأتي أجله المُقدَّر ، لذا سارع إلى فضل الله ، وقم بتلك الأعمال المضاعفة ، واحذر بعد ذلك أربعة أمور أساسية لتحافظ على حسناتك يوم القيامة :

أولا : محبطات الحسنات :

اعلم أخي القاريء أن هناك معاصٍ عديدة من كبائر الذنوب تحبط الحسنات وتُرجِّح كفة السيئات . فالبدار البدار إلى معرفتها ، والحذر كل الحذر من اقتراف واحدةٍ منها . إن اقتراف ذنب واحدٍ من محبطات الأعمال كفيل أن يحبط حسناتك ولو كانت كأمثال الجبال فتنبه . روى ثوبان ﷺ حديثاً عن رسول الله ﷺ أقضَّ مضاجع الصالحين وزادهم وجلاً على صالح أعمالهم فقال : قال رسول الله ﷺ قال : «لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء **فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً** » . قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جَلِّهم لنا ، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال « أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون **ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها** » (٢١٠) .

---

(٢١٠) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر الذنوب (٢/ ٥٦١) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواته ثقات: كتاب الحدود: باب الترهيب من مواقعة الحدود=

ثانيا : العجب[211] والغرور بالعمل :

إن المؤمل فيك أخي القارىء أن تعمل بما قرأت في هذا الكتاب من فضائل، ولعلك ستفرح بكثرة الحسنات التي ستكسبها والتي ستبلغ المليارات إن شاء الله ، ولكن إياك والعجب والغرور بكثرة أعمالك الصالحة ، فتمُنَّ بها على ربك فتردى ، وقد نهى الله عز وجل عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ [212] . فإن ما أخشاه عليك أخي القارىء أن تصاب بداء العجب فتحتقر الذنب الصغير الذي تعمله إذا قارنته برصيد حسناتك الهائل فيخدعك الشيطان بأن هذه السيئة ستضيع في بحر حسناتك، ثم يبدأ بإقناعك بأن الذنب الصغير لا يضر أمام عفو الله، وأمام ما حصلت عليه من حسنات، فتراه يستعرض لك سجل حسناتك الضخم، حتى يوقعك في شِبَاك العجب والمنِّ بها على ربك، فتظن أنها ستدخلك الجنة، لما لك من حق عندَ الله. روى أبو هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : « لن يُدخِل أَحِداً منكم عَمَلُهُ الجنة . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة »[213] .

= (٣/ ٢٤٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٠٥) وفي صحيح ابن ماجه رقم (٢٤٢٣) .

● للاستزادة راجع كتاب محبطات الأعمال لسليم الهلالي وكتاب الكبائر للذهبي وكتاب الزواجر للهيتمي .

(٢١١) قال بشر بن الحارث : العُجْبُ أن تستكثر عملك وتستَقِلّ عمل الناس أو عمل غيرك. [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي النعيم (٨/٣٤٨)]، وسئل ابن المبارك عن العجب فقال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العُجب [نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء(٢/ ٦٥٧)].

(٢١٢) سورة المدثر آية (٦) .

(٢١٣) رواه البخاري كتاب الرقاق : باب القصد والمداومة في العمل (١١/ ٣٠٠) ، ومسلم واللفظ له في كتاب صفة القيامة والجنة والنار : باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمه الله تعالى (١٧/ ١٦٠) .

ولهذا حذَّر السلف رحمهم الله تعالى من خطر العجب بالعمل . فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « النجاة في اثنين التقوى والنية ، والهلاك في اثنين: القنوط والإعجاب »[٢١٤] . وقال مطرف بن عبد الله (رحمه الله) : «لأن أبيت نائما ــ أي عن قيام الليل ــ وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً »[٢١٥] . وقال سفيان الثوري : «التاجر الراجي لرحمة الله أقرب إلى الله من العابد الذي يرى أنه لا ينال ما عند الله إلا بعمله»[٢١٦] .

ومن آفات العجب بكثرة العمل الصالح : أن تجد أحدهم يُبقي حسناته في مخيلته لا يذكر سواها ، حتى يدلي بها على الله ويظن أنَّ له بها حقا عنده ، أو أنها تكفيه لدخول الجنة ، بينما هو يغفل عن سيئاته ويتناساها ولا يخاف منها. قال سلمة بن دينار : إنَّ العبد ليعمل الحسنة تسرُّه حين يعملها ، وما خلق الله من سيئة أضر له منها . وإن العبد ليعمل السيئة حتى تسوءه حين يعملها ، وما خلق الله من حسنة أنفع له منها . وذلك أنَّ العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها فيستجبر فيها ويرى أنَّ له بها فضلاً على غيره ، ولعل الله تعالى أن يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً . وإن العبد حين يعمل السيئة تسوؤه حين يعملها ، ولعل الله تعالى يحدث له بها وَجَلاً يلقى الله تعالى وإنَّ خوفها لفي جوفه باق أ هـ[٢١٧] .

فمن وسائل علاج العجب بكثرة الأعمال الصالحة :

(أ) أن تعلم أن ما وفقت إليه من عمل صالح إنما هو بفضل الله ، وذلك لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فَمِنَ الله ﴾[٢١٨] .

(٢١٤) تنبيه الغافلين (٢/ ٣٥١) .

(٢١٥) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥) ، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل (صفحة ٢٤١, ٢٤٣) ، ونزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٤١) .

(٢١٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٧/ ٣٨) .

(٢١٧) المصدر السابق (٣/ ٢٤٢) .

(٢١٨) سورة النحل آية (٥٣) .

(ب) وأن تعلم أن هناك من العباد من يكسب أكثر منك ثوابا . وما تم عرضه عليك في هذا الكتاب لا يعدو أكثره فضائل أعمال يُعلم مقدار ثوابها، وأما أصحاب البلاء والابتلاء والصابرون على ذلك فإنهم يثابون على ذلك بغير حساب . قال الله تعالى : ﴿ **إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[219]. فهوِّن على نفسك ، ولا تغتر بكثرة عملك الصالح ؛ فإن الحي لا تُؤمنْ عليه الفتنة، ولكن احمد الله الذي وفقك إليه وزيَّنه في قلبك، وكرَّه إليك الكفر والفسوق والعصيان وجعلك من الراشدين .

(ج) وأن تعلم أنك مهما كسبت من ثواب فإنك ستحقره يوم القيامة ؛ لهول ذلك اليوم واكتشافك بأنك ما عبدت الله حق عبادته . قال الصحابي الجليل محمد بن أبي عميرة ﷺ : « لو أن عبداً جُرَّ على وجهه من يوم وُلِدَ إلى أن يموت هرماً في طاعة الله ، لحقره ذلك اليوم ، ولودَّ أنه يُرد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب »[220]. وقد جاءت رواية عن عتبة بن عبد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن رجلا يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة »[221].

قال ابن قيم الجوزية : ومن عرف الله وحقه وما ينبغي لعظمته من العبودية : تلاشت حسناته عنده وصغرت جداً في عينه ، وعلم أنها

---

(٢١٩) سورة الزمر آية (١٠) .

(٢٢٠) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ أبواب ذكر يوم الحساب وعرض الخلائق على رب الأرباب ، وقال البنّا في الفتح : أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال رواه أحمد ورواته رواة الصحيح أ هـ (١٤٦/٢٤) .

(٢٢١) رواه الإمام أحمد (١٤٦/٢٤) ، والطبراني في الكبير (٢٤٩/١٩) ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٤٤٦) .

ليست مما ينجو بهـا من عذابه . وإن الذي يليق بعزته ويصلح له من العبودية : أمر آخر. وكلما استكثر منهـا استقلها واستصغرها ، لأنه كلما استكثرها ـ أي حسناته ـ فتحت له أبواب المعرفة بالله والقرب منه ، فشاهد قلبه من عظمته سبحانه وجلاله ما يستصغر معه جميع أعماله ، ولو كـانت أعمال الثقلين . وإذا كثـرت في عينه وعظمت دلَّ على أنه محجوب عن الله غير عارف به وبما ينبغي لـــه. . . الخ أ هـ [٢٢٢] .

(د) أن لا تثق بكثـرة عـملك لأنك لا تدري أقُـبِلَ منك أم لا. قـال ابن عون: لا تثق بكثرة العـمل ، فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا ، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري كُـفِّرت عنك أم لا ، إنَّ عملك مُـغَيَّب عنك كله أ هـ [٢٢٣] .

إنَّ المؤمل منك أن تكون دائمـاً على وَجَلٍ وخـوف من أن تُرد عليك أعمالك . قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ **والذين يُؤتون مـا آتوا وقلوبُهم وَجِلَةٌ** ﴾ [المؤمـنون : ٦٠] . قالت عـائشـة هم الذين يشـربون الخـمر ويسـرقـون ؟ قـال : لا يا بنت الصدِّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتـصدقون وهم يخافون أن لا يُقبل منهم أولـئك الذين يسارعون في الخـيرات [٢٢٤] . قال

---

(٢٢٢) تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (صفحة ١٥٤) .

(٢٢٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٣٨) .

(٢٢٤) رواه أحمـد ـ الفتح الـرباني ـ أبواب التفـسيـر وأسباب الـنزول وفضائـل السور والآيات مرتبـاً ذلك على نظام السور ، باب والذين يؤتون مـا آتوا وقلوبهم وجلة الآية (١٨/ ٢١٦) ، ورواه الترمذي واللفظ له في الـتفسير باب ومن تفسـير سورة المؤمنون (١٢/ ٣٩) ، وابن ماجه في الزهد بـاب التوقي على العمل (٢/ ٥٤٩) ، وصححه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول (٢/ ٢٤٥) ، والألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٧) ، وصحيح ابن ماجه (٣٣٨٤) .

العلماء أي هو الذي يعمل الصالحات ويشفق أن لا تقبل منه لخوفه أن يكون قصرًّ .

ثالثا : الاعتداء على حقوق الناس :

إياك أن تؤذي إخوانك المسلمين بأي عضو من أعضائك من غيبة أو نميمة أو شتم ونحو ذلك . وتجنب بخس الناس حقوقهم ، فإنك إن فعلت ذلك أخذوا منك ما جمعته من حسنات يوم القيامة ليستوفوا حقوقهم منك ، وإذا نفدت حسناتك ولم تؤد ما عليك ، طرحوا عليك أوزارهم لتحملها عنهم، فيخف ميزانك فتشقى والعياذ بالله . صح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتهُ قبل أن يُقضى ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » (٢٢٥) . ولتكن معاملتك مع الناس بالأخلاق الحسنة فإنك بهذه الأخلاق تكسب ودهم وتأمن شرهم وتحافظ على رصيد حسناتك .

رابعاً : السيئات الجارية :

إذا حرصت على الحسنات الجاري ثوابها إلى ما بعد مماتك فاحذر كذلك من اقتراف ما يضادها من السيئات الجارية إلى ما بعد الممات ، كتخذيل مسلم عن الالتزام كما يفعل بعض الآباء مع أولادهم ، أو الفتوى دون علم ، أو

---

(٢٢٥) رواه الإمام أحمد ــ الفتح الرباني ــ أبواب في ذكر يوم الحساب وعرض الخلائق على رب الأرباب : فصل فيما جاء في القصاص يوم القيامة ورد المظالم إلى أهلها (٢٤/ ١٥٠) ، ورواه الإمام مسلم واللفظ له في كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم (١٦/ ١٣٥) ، والترمذي في أبواب صفة القيامة : باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٩/ ٢٥٣) .

توزيع أشرطة غناء أو أفلام فيـها التبرج والغرام ، فإن كل من سيسـمعها بعدك سيكون لك كـفل من وزره . فقد صح عن الـنبي ﷺ أنه قال : « من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر مـن عمل بها ، من غير أن ينقص من أجورهم شيـئاً ، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة فـعليه وزرها ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا »[٢٢٦] .

الا تعلم بأن كل جـريمة قتلٍ تقع في الأرض يقع على ابـن آدم الأول كفل منها ؛ لأنه أول من سَنَّ القتل ؟ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لا تُقـتل نفس ظلماً إلا كـان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمـها ؛ لأنه أول من سَنَّ القتل »[٢٢٧] . فاحرص على أن لا تُورِّث ذنبا بعد وفاتك لأحد، وكن ممن إذا مات ماتت ذنوبه معه .

قال الشاطبي : وطوبى لمن مات ومـاتت معـه ذنوبه ، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة ، يعذبُ بهـا في قبره ويُسأل عنها إلى انقراضها[٢٢٨] . وقال حـبيب أبو محمـد : إن من سعادة المرء إذا مـات ماتت معه ذنوبه [٢٢٩] .

فإن بعـض الناس من يضع لنفسـه مثل الوقف يسـتجـر منه السيئـات تلو السيـئات حتى بعـد وفاته. ومثل ذلك مـا يفعله الممثلـون الذين يمثلون الأفلام الجنسية ويسجلونها، لتبقى مخلدة عملهم المشين ، ليحملوا أوزارهم وأوزار من

(٢٢٦) رواه الإمام مسلم في كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة (١٦/ ٢٢٦)، والترمذي في أبواب العلم : باب ما جاء فـيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه (١٠/ ١٤٣) ، ورواه النسائي واللفظ له في الزكاة باب التحريض على الصدقة (٥/ ٧٥/ ح٢٥٥٣).

(٢٢٧) رواه البـخـاري واللفظ له في كـتاب أحـاديث الأنبـيـاء : باب خلق آدم وذريتـه (٦/ ٤١٩) ، ومسلم في كتاب القسامة : باب اثم من سن القتل (١١/ ١٦٦) .

(٢٢٨) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي (١/ ٢٢٩) .

(٢٢٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٢٩٦) .

أفسدوا من مـلايين الناس سنين طويلة. ومثل ذلك أيضا مـا يفعله بعض الآباء عند شرائهم للهوائيـات أو ما يسمى بالدش[٢٣٠] فيضعونه في بيـوتهم ليمتعوا نظرهم بما حـرم الله ، ثم لا يلبث أحدهم أن يوافـيه الأجل فـيرث أبنـاؤه ما خلف من ذلك الشر المستطير ، فيفتحوا على أبيهم المسكين قناة تجري له بسموم السيئات ما استُخـدم هذا الدش فيما حرم الله . ألا فليتق الله هذا الأب المفرّط الذي يشتري لهو الحـديث ليصد نفسه ومن يعول عن طـاعة الله ، وليحذر من مثل هذه السـيئات الجـارية التي لا تزرع سوى الانحلال فـي بيوت المسلمين ، وليكن مـن الناس الذين يورثون الأخـلاق والأعـمـال الحـمـيـدة لأبـنائهم ومجتمعهم، وممن إذا مات ماتت معه ذنوبه .

---

(٢٣٠) الدش مـصطلح درج على ألسنة الناس لقـرص كبـيـر الحجم يوضع خـارج المنزل ليلتقط من الأقمار الصناعية بث القنوات التلفزيونية العالمية ، وقد سمعت أنه على وشك تصنيع أجهزة صـغيرة توضع داخل جهاز التـلفاز تغني عن الدش ولا حول ولا قوة إلا بالله . فـيا ليت المسلمين يُسخِّرون هذه التـقنيات في مرضـاة الله كما سخرها غيرهم في معصية الله .

الخلاصة

لا شك أن هدف المسلم في هذه الدنيا يختلف عن غيره من الناس . فهدفه أن يعبد الله جل وعلا وأن يستغل حياته ووقته بالارتقاء بالأعمال الصالحة ؛ لينال رحمة الله تعالى فيرفع درجته في جنات النعيم ، ولكن أكبر مشكلة يواجهها هي قصر عمره الإنتاجي في الدنيا الذي لا يزيد في الغالب عن عشرين سنة ، مما يتأتى عليه البحث عن سبل شرعية لإطالة عمره ، ليس ليزداد رفاهية في الدنيا ، وإنما ليزيد من حسناته وأيام طاعته لله . وهناك أعمال صالحة كثيرة تعين على إطالة العمر ، على اختلاف بين أهل العلم في مفهوم هذه الإطالة . فمنهم من يرى أن الإطالة هي البركة ومنهم من يرى أنها إطالة حقيقية . لذلك تم تقسيم كيفية إطالة العمر إلى أربعة مباحث لتشمل كلا القولين . فأما على قول الإطالة الحقيقية فقد يندرج تحتها الأعمال التي في المبحث الأول وهي : صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار . وأما على القول الثاني وهو البركة فهو لا يوافق سوى المباحث الأخرى وهي المبحث الثاني : الأعمال ذات الأجور المضاعفة وتشتمل على عشرة فروع . والمبحث الثالث ويتحدث عن الأعمال الجاري ثوابها إلى ما بعد الممات في أربعة فروع . والمبحث الرابع وهو عن أهمية استغلال الوقت . وبعد استعراض مجموعة من الأعمال الصالحة في كل مبحث ختم الكتاب بفصل يشتمل على نصيحة للمحافظة على هذا العمر الإنتاجي الضخم بتجنب أربعة ذنوب لها أثر سلبي في إطالة العمر هي محبطات الحسنات ، والعجب بالعمل ، وانتهاك حقوق الناس ، والسيئات الجارية أعاذنا الله من ذلك .

الخـــاتمة

أخي الكريم لا يسعني في خاتمة الكتاب إلا أن أجـدد دعوتي إليك بتقوى الله عز وجل في السر والعلن ، والاستمرار على طاعـته واغتنام فرصة حياتك قبل مماتك لكسب أكبر قدر ممكن من الحسنات . وأنا أعلم أن معظم ما جاء في هذا الكتاب من فضـائل لا يخرج عن دائرة معلوماتك ، ولكنها دعـوة وتذكير لاحتساب ثوابها عند القيام بها ، وحتـى أشحذ الهمم لبعض الأعمال الصالحة بمعرفة ثوابها لئلا نصاب بداء الرتـابة في أدائها . قال أبو عبد الله البراثي : من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال[٢٣١] .

كما أني لا أدَّعي أني قـد استقصيت جـميع الأعمال وخصـال الخير التي ترتبط بموضوع إطالة العمر ، ولكنه جهد المقل ، ولعله أن يخرج من يؤلف في هذا الموضوع فيزيد عليـه أو يصحح ما فيه من تقصير مـراعياً أدب العلماء في هذا المضمار .

ولعل القارىء الكريم أدرك بعد قـراءته المتأنية للكتاب أن فضـائل الأعمال التي جـمعت بين دفـتيـه مرتبطة بالزمن بصـورة أو بأخرى . فـجُلّ الأعـمال المذكورة إما توفر لك وقتاً في إنجازها وهو ما قاله ابن تيمية رحمة الله تعالى ؛ أن تعمل في الزمن القـصير مـا تعمله بغيره مـن عمل في الزمن الطويل ، أو تضيف لـك ثواب أيام عُمِّرت بالطاعـات . لذلك لا تخلط بين هذه الفـضائل وبين فضائل الأعـمال الأخرى التي لم تذكر . وإذا لم تنتبه لذلـك فأعد قراءة الكتاب برويّه وستلاحظ ذلك جليا .

---

(٢٣١) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/٥٦٦) ، وقال مثل ذلك بِشْر بن الحارث الحافي في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨/٣٤٩) .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا لخالص القول والعمل ، وأن يجنبنا ما يحبط العمل ، وأن يوفقنا للعمل الصالح الجاري إلى يوم القيامة، كما أسأله تعالى أن يجزي خيراً كل من خدم هذا الكتاب وساهم في إخراجه أو قام بتوزيعه ، وأن ينفع به كل من قرأه ، إنه سميع مجيب وجواد كريم ، وصلى الله وسلم على خير البرية وهادي البشرية سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحابته الميامين ، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة والآثار

المراجــع

إحياء علوم الدين . أبو حامد الغزالي ـ وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي . دار الفكر العربي.

أخلاق حملة القرآن . محمد الآجري ، دراسة وتحقيق وتعليق د. محمود النقراش السيد علي ، مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى ، القصيم ١٤٠٧ هـ .

إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان . مرعي الكرمي ، تعليق وتخريج مشهور سلمان ، دار عمار ، الأردن ، ١٤٠٨ هـ .

إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه . جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبد الحميد شانوحة ، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ

الآداب الشرعية والحقوق المرعية . محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيَّام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٦هـ .

التبيان في آداب حملة القرآن للنووي . تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، دار البيان، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

الترغيب والترهيب للمنذري . تعليق مصطفى محمد عمارة ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة ١٤٠٧ هـ .

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الزهد . أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

السلوك الاجتماعي في الإسلام . حسن أيوب ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .

الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني . أحمد بن عبد الرحمن البنّا الشهير بالساعاتي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية . محمد بن علان الصديقي ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

المجموع الثمين من فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين . فهد السليمان ، دار الوطن للنشر ، الرياض (الجزء الثاني) ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . الدكتور أ . ونسنك ، دار الدعوة ، تركيا ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي .

المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حميدي السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة .

المغني لابن قدامة المقدسي. تحقيق د. عبد الله التركي و د. عبد الفتاح الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

المناهي اللفظية . محمد بن صالح العثيمين ، جمع وإعداد فهد بن ناصر السليمان ـ دار الثريا للنشر ، السعودية ، ١٤١٥هـ .

المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد معه الفتح الرباني للساعاتي وشرح الحافظ أحمد شاكر . عبد الله ناصر حماني ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود . مصطفى البيومي وأمين محمود الخطاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

الموافقات في أصول الشريعة . لأبي إسحاق الشاطبي ، مكتبة الرياض الحديثة السعودية .

الموطأ للإمام مالك بن أنس ﷺ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

النهاية في غريب الحديث والأثر . ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

الوقت في حياة المسلم . د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ .

تأويل مختلف الحديث . ابن قتيبة الدينوري ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته . عوني الشريف وعلي عبد الحميد ، مكتبة المعرفة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل . محمد الشوكاني ، تعليق وتخريج مشهور سلمان ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٠هـ .

تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية . هذّبه عبد المنعم العزي ، المكتبة العلمية ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

جامع الأصول في أحاديث الرسول . مجد الدين ابن الأثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الكتب العلمية بيروت .

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين . محمد الصديقي ، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ .

دواء القلوب وصلاح النفوس . مجدي فتحي السيد ، مكتبة الضياء ، جدة ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها . محمد ناصر الدين الألباني ــ مكتبة المعارف ــ الرياض ، ١٤١٢هـ .

سنن أبي داود بشرح عون المعبود . محمد شمس الدين آبادي ، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي . دار المعرفة ، بيروت .حققه مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

شرح السنة . الحسين بن محمد البغوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .

شرح سنن ابن ماجه القزويني . أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي ، دار الجميل، بيروت .

شعب الإيمان . أحمد البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري . محمد ناصر الدين الألباني ، دار الصِّدِّيق ــ الأردن ، ١٤١٤هـ .

صحيح البخاري بشرح فتح الباري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري . تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ .

صحيح الترمذي بشرح عارضة الأحوذي لابن العربي . دار الكتب العلمية ، بيروت .

صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) . محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ .

صحيح سنن ابن ماجه . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

صحيح سنن أبي داود . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .

صحيح سنن الترمذي . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

صحيح سنن النسائي . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .

صحيح مسلم بشرح النووي . دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

صفة الصفوة . لابن الجوزي، دار الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

صلة الرحم فضلها أحكامها إثم قاطعها . محمد طبل وإبراهيم محمد ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠ هـ .

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد . عبد الرحمن بن حسن النجدي ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة المؤيد ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ .

فهارس صحيح ابن خزيمة . أحمد الكويتي ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

فيض القدير شرح الجامع الصغير . عبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة ، بيروت .

قيمة الزمن عند العلماء . عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٠ هـ .

كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل . محمد بن إسحاق بن خزيمة ، دراسة وتحقيق د . عبد العزيز الشهوان ، دار الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ .

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة . العدد التاسع ، السنة الثالثة ، شوال ــ ذي القعدة ــ ذي الحجة ، ١٤١١ هـ ، السعودية .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . نور الدين علي الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . علي القاري ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

مشكاة المصابيح . محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .

معجم المناهي اللفظية . بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار ابن الجوزي السعودية ، ١٤١٠هـ .

مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين أو النيات في العبادات . عمر الأشقر ، رسالة دكتوراه في الفقه المقارن ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ .

موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف . محمد السعيد بسيوني زغلول ، عالم التراث ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي . محمد حسن عقيل موسى ، دار الأندلس ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

المبحث الثاني
إطالة العمر بالأعمال ذات الأجور المضاعفة